الكتاتيب القرآنية

ودورها في مواجهة التغريب

إعداد الدكتور

محمـــد صـــبري محمـــد علـي

مدرس الدعـــوة والثقافـــة الإسلاميـــة

كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة

جامعة الأزهر

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢٠٢٥/١٩٧٣٢م

الترقيم الدولي لكتاب البحث: ٣-٣٦٥٨-٩٥-٩٧٧-٩٧٨

الكتاتيب القرآنية ودورها في مواجهة التغريب

محمد صبري محمد علي.

قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة ، جامعة الأزهر ، جمهورية مصر العربية.

البريد الإلكتروني: mohsabryali@yahoo.com

الملخص:

الكتاتيب: جمع كُتَاب، والمراد به؛ المكتب الذي يحفظ فيه القرآن، والأصل فيه جمع كاتب ثم أطلق على المكان مجازا من إطلاق الحال وإرادة المحل، وقد كانت بيوت الصحابة ومن جاء بعدهم معاهد علم؛ ومدارس قرآن، كذلك كانت توجد الكتاتيب لتحفيظ القرآن، وتعليم القراءة والكتابة؛ وقد أنشئت هذه الكتاتيب في عهد مبكر، وكان لها آثارها العظيمة في حفظ القرآن الكريم واللغة العربية والدراسات الإسلامية، وقد كانت مصر – حرسها الله– بمدنها، وقراها، غاصة بالكتاتيب، وفيها حُفظ القرآن الكريم، وقد كانت هي الروافد التي تمد الأزهر الشريف بألوف الطلاب كل عام، والكثيرون من هؤلاء صاروا أئمة في الفقه والفتوى، والتفسير، والحديث، وعلوم اللغة واللسان، والعلوم العقلية والكونية، ولم تكن فائدتها تقف عند حد تحفيظ القرآن فحسب، بل كانت من أعظم الوسائل في تعليم القراءة والكتابة؛ وكذلك كانت تُعلَمُ فيها مبادئ الدين الإسلامي، ومبادئ الحساب، ومن ثم نرى أن الكتاتيب كانت أيضا من أعظم وسائل إزالة الأُمِيَة في التعليم والأخلاق، ولما أنشئت المدارس الأولية، ثم الإلزامية، بدأت الكتاتيب تضمحل شيئا فشيئا حتى أوشكت على الزوال، وتكاد تكون هذه الطريقة مندثرة اليوم في الديار المصرية بعد أن كانت هي السابقة في هذا المضمار، وقد كانت الديار المصرية زعيمة العالم الإسلامي في

حفظ القرآن الكريم وإتقان قراءاته، وفي الكثرة الكاثرة من حفاظه وأهله، ومما يذكر بالاعتزاز والإكبار أن طريقة تحفيظ القرآن الكريم عن طريق الكتابة في الألواح والتصحيح على الفقيه، لا تزال في كثير من البلاد الإسلامية الشقيقة.

لذلك يهدف البحث إلى أن تقوم إدارة شئون القرآن الكريم في الأزهر، ومجمع البحوث الإسلامية، ووزارة الأوقاف والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوضع خطط مناسبة بوسائل تتوافق مع مستجدات العصر لإحياء هذه الكتاتيب، وعلى النهوض بجمعيات المحافظة على القرآن الكريم، والإكثار من دروس تحفيظ القرآن الكريم، وإنصاف القائمين على التحفيظ بها، وسد حاجاتهم، وإنشاء نقابة خاصة بمحفضي القرآن الكريم؛ حتى يقوموا بمهمتهم خير قيام.

وفي ذلك دعم للوسطية والنأي بالشباب والناشئة عن الوقوع في براثن الأفكار والدعوات الضالة والإرهاب، كذلك تحصينٌ للمجتمع من هذه الأفكار وتماشيًا مع فطرة الإنسان، وإشباع ميوله الفطرية للتدين؛ مما يسهم في بناء الأمة دينيًا، ودنيويًا، وخُلُقيًا، واجتماعيًا.

الكلمات المفتاحية: الكتاتيب- التلقين- الألواح- المواجهة- التغريب.

The Qur'anic Kuttabs and Their Role in Confronting Westernization

Mohamed Sabry Mohamed Ali
Department of Da'wah and Islamic Culture, Faculty of Fundamentals of Religion and Da`wah, Al-Azhar University, Mansoura, Egypt
Email: mohsabryali@yahoo.com

Abstract:
The term "Kuttab" refers to a place where the Qur'an is memorized. The original term "Katib" (scribe) was used, and later the place was metaphorically named after the person (scribe) to refer to the location. The early houses of the companions of the Prophet (PBUH) and those who came after them were centers of learning, particularly for the Qur'an. The Kuttabs were established to teach and memorize the Qur'an, as well as to teach reading and writing. These Kuttabs were founded at an early period and had a profound impact on preserving the Qur'an, the Arabic language, and Islamic studies.

In Egypt, these Kuttabs were widespread across cities and villages. They played a key role in preserving the Qur'an and served as essential feeder schools to Al-Azhar University, contributing thousands of students every year. Many of these students became eminent scholars in fiqh (Islamic jurisprudence), fatwa (legal rulings), tafseer (Qur'anic exegesis), hadith, language sciences, and rational and natural sciences.

The Kuttabs did not only focus on memorizing the Qur'an, but also served as major centers for teaching literacy and foundational principles of Islam, including basic arithmetic. These Kuttabs were one of the most effective tools in reducing illiteracy and teaching both religious and moral education.

However, with the establishment of primary and later mandatory schools, the role of Kuttabs began to decline and gradually faded, almost disappearing today. This method of education was once dominant in Egypt, making it a leader in the Islamic world in preserving and mastering the Qur'an, with an abundance of Hafiz (memorized Qur'an). It's worth noting with pride that the practice of memorizing the Qur'an using boards and correcting the student's recitation under the supervision of a scholar continues in many sister Islamic countries.

Thus, this research aims to recommend that the Administration of Qur'anic Affairs at Al-Azhar, the Islamic Research Academy, the Ministry of Awqaf (Religious Endowments), and the Supreme Council for Islamic Affairs develop appropriate plans and strategies to revive these Kuttabs, using methods that align with the challenges and innovations of the contemporary age. This should also involve supporting Quran preservation associations, expanding Qur'anic memorization lessons, and fairly compensating those who facilitate these efforts. Moreover, the establishment of a union for Qur'anic memorizers should be considered to ensure that they perform their duties efficiently.

This will contribute to supporting the values of moderation, steering the youth and new generations away from misguided ideologies and terrorism, fortifying society against harmful ideas, and nurturing people's natural inclination toward spirituality. Ultimately, it will contribute to the moral, social, religious, and worldly development of the community.

Keywords: Kuttabs, Memorization, Boards, Confrontation, Westernization.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمـــة

كانت الكتاتيب القرآنية ولا تزال تؤدي خدمة عظمى في سـبيل تحفيظ القرآن الكريم وحفظه، والتمكين للدراسـات الإسـلامية والعربية، وحفظ الهوية العربية للأمة الإسـلامية، كما يذكر التاريخ ولا يزال يذكر جوانب مضـيئة من الفيض الإلهي الذي أنزله الله عزو جل على كتابه الكريم والنور والبهاء على أئمتنا وسـادتنا من أهل القرآن الذين حفظوا القرآن وعلموه ولم تكن فائدتها تقف عند تحفيظ القرآن فحسـب، بل كانت من أعظم الوسـائل في تربية النشـأ والمحافظة على فطرتهم النقية وكذا تعليمهم القراءة والكتابة ومبادئ الحسـاب وأحكام التلاوة والتجويد وإتقان علم القراءات القرآنية كل طالب على حسـب اسـتعداده، وعلى قدر طاقته، يتعلم فيها الطالب مبادئ الدين الإسـلامي، من ذلك درس يوم في كل أسـبوع حيث يلقن فيه الفقيه أركان الإسـلام ونسـب النبي -ﷺ- وأزواجه، وأبنائه وبناته، وأركان الصـلاة، والتشـهد وفرائض الوضـوء، و مبادئ الحسـاب و أحكام التلاوة والتجويد وعلم القراءات ومن ثم نرى أن الكتاتيب كانت أيضـا من أعظم وسـائل إزالة الأمية، لأن الطالب لكي يكتب لوحه لا بد من تعلمه القراءة والكتابة أولا، وقد كانت الكتابة في اللوح تمرينا عمليا على إجادة القراءة والكتابة.[١]

وبعدها يمكن للطالب أن يلتحق بالأزهر الشـريف ليدرس علوم الدين والدنيا: علوم الشريعة واللغة، وكذلك العلوم المدنية، ولقد ظل الأزهر الشريف بعلمائه، وشيوخه، وعلى مدى تاريخه نبراسـا مضـيئا، عُنِي بكتاب الله تعالى، تلاوة وتحفيظا، تعلما وتعليما، شـرحا

(١)المدخل لدراسة القرآن الكريم: محمد بن محمد ابو شهبة. القاهرة: دار السلام، ص ٢٥ وما بعدها.

وتوضيحا، دراسة وتفسيرا، رجاء أن ينال الخيرية، التي بَشّر بها سيدُ البشرية، محمدٌ -ﷺ- ، ففي صحيح البخاري عن عثمان رضى الله عنه قال: قال رسول الله "خيركم من تعلم القرآن وعلمه". واقتداء بدعوة الإسلام عكف الأزهر من خلال دعمه للكتاتيب على القيام برسالة الدعوة إلى الله، وتعليم القرآن

إن الكتاتيب القرآنية حملت هذه الرسالة الكبرى ، وتلك الأمانة العظمى في حفظ القرآن الكريم ولقد أراد الله ﷻ أن يكون الأزهر الشريف أحد الحصون الحافظة لكتاب الله، والدرع الحصين للزود عن الأفكار الهدامة والعقائد الفاسدة، لذا نرى أثر الكتاتيب واضحا وواقعا وملموسا على مر العصور في الدفاع عن الدين وتثبيت العقيدة الإسلامية الصحيحة، في مواجهة التغريب والتطرف والإلحاد، بجهود علمية وعملية على يدي العلماء الشيوخ والدعاة والحفظة من خلال تعليمهم القرآن ومواقفهم السلوكية والأخلاقية وأساليبهم التربوية والتعليمية ضد وسائل التغريب ومظاهره ، إذ قام أهل القرآن منذ ألف عام بتعليم القرآن الكريم وأحكام التجويد وعلوم القراءات القرآنية بشروح وافية في حلقات الدرس من خلال الكتاتيب وتأليف الكتب والمتون والشروح مع ما يتطلب ذلك من دراسة تفسير الكتاب الحكيم وعلوم التشريع الفقهي، وفنون اللسان العربي، وموادّ التربية الإسلامية، وحجج العقيدة الإسلامية.

من هنا كان اختياري لموضوع البحث: الكتاتيب القرآنية ودورها في مواجهة التغريب

وتأتي أهمية البحث من خلال بيان أهمية الدور الذي قامت به الكتاتيب ولا تزال تقوم به في مواجهة التغريب وإذا كانت الطفولة هي مستقبل الأمم فمن الأهمية بمكان، بل مما يجب على المجتمع كله دعم الكتاتيب في أداء واجبها العلمي والعملي في حماية الطفولة والفطرة الإنسانية النقية من مغريات التغريب ومظاهره.

وقد دفعني للكتابة في هذ الموضوع عدة أسباب منها :

- **بيان الدور العظيم الذي قامت به الكتاتيب في حفظ القرآن الكريم وتحفيظه والعمل بما فيه**
- **إبراز دور الكتاتيب في مواجهة التغريب بمظاهره المختلفة من النواحي الدينية، والاجتماعية، والسياسية، والتعليمية.**
- **توضيح ودراسة دور الكتاتيب في الإصلاح الاجتماعي والأخلاقي والدفاع عن الدين**
- **الارتقاء بدور الكتاتيب في التصدي لدعوات التغريب وبيان أثرها في صد تلك الدعوات المغرضة**
- **بيان ملامح الجهود العملية التي قدمتها الدولة المصرية في دعم الكتاتيب لمواجهة التغريب**

منهج البحث:

أما عن منهج البحث فهو المنهج الوصفي الذي يقوم بدراسة الحالة وتحليل سماتها ووظائفها ودراسة منهجها ودورها العلمي والعملي والتعبير عنها بشكل يناسب طبيعة البحث.

خطة البحث:

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يشتمل على: مقدمة وتمهيد ومبحثين، ثم أهم النتائج والتوصيات، وثبت للمصادر وأخيرا فهرس الموضوعات.

أما المقدمة فقد تحدثت فيها عن أهمية الموضوع وسبب اختياري لهذا الموضوع، وعن منهجية الدراسة، وخطة البحث.

أما التمهيد فقد تضمن الحديث عن:(تعريف الكتاتيب وتطور نظامها عبر العصور)

المبحث الأول: فقد جاء تحت عنوان (نشأة الكتاتيب وخصائصها وأهدافها)

ويشمل: أربعة مطالب:

- أما المطلب الأول: فكان تحت عنوان: (تطور نظام الكتاتيب عبر العصور).
- المطلب الثاني: (أهمية إنشاء الكتاتيب).
- المطلب الثالث: (أهداف الكتاتيب ومناهجها وبرامجها).
- المطلب الرابع: (واقع الكتاتيب في العصر الحاضر: أهم التحديات وطرق معالجتها.

المبحث الثاني: (دور الكتاتيب في مواجهة التغريب ومظاهره).

ويتكون من المطالب الآتية:

- المطلب الأول (تعريف التغريب ومظاهره).
- المطلب الثاني: (المناهج التعليمية والتربوية في الكتاتيب ودورها في مقاومة التغريب).
- المطلب الثالث: (دور الكتاتيب في مواجهة التأثير الثقافي وإحياء اللغة العربية).
- المطلب الرابع: (التنشئة الاجتماعية الإسلامية داخل الكتاتيب ووظائفها التربوية والأخلاقية).
- المطلب الخامس:(من الجهود العملية للدولة المصرية دعم الأوقاف للكتاتيب في مواجهة التغريب).

أما النتائج والتوصيات فقد تحدثت فيها عن أهم النتائج والتوصيات التي توصل البحث إليها، ثم ثبت المصادر والمراجع وفهرس الموضوعات ولله الحمد في الأولى والآخرة.

التمهيد

تعريف الكتاتيب وتطور نظامها عبر العصور

تُعدّ الكتاتيب من أقدم المؤسسات التعليمية التي أسهمت في بناء الهوية الإسلامية، وكان لها دور محوري في تعليم القرآن الكريم وترسيخ القيم الدينية، والأخلاقية، والاجتماعية في نفوس النشء. ومع تطور الأنظمة التعليمية، ظلت الكتاتيب قائمة بدورها التربوي، وإن تراجع حضورها في بعض البيئات لصالح التعليم النظامي. غير أنّ أهميتها لم تندثر، لما تحمله من دور إصلاحي عميق في تكوين الشخصية المسلمة المتوازنة. وتأتي هذه الأهمية من ضرورة وفريضة تعلم القرآن وتعليمه وتطبيقه في حياتنا العملية خاصة في خضَم ما تعيشه أمتنا من تقلبات فكرية وتغيرات اجتماعية وثقافية وأخلاقية وانتشار الفتن ومظاهر التغريب في المجتمعات لذا لن تكون النجاة إلا بالقرآن الكريم والاعتصام به كما قال الله تعالى: {قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتّبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم} [١] فلا شيء عند المؤمن أعظم من كتاب الله تعالى، فيجتهد في تدارسِهِ والتهيُّؤ لخدمته، عاملًا بقوله -ﷺ-: (خيركم من تعلم القرآن وعلّمه) [٢].

وإنَّ تعلّم القرآن الكريم وتعليمَهُ لا يتحقّقُ أوّلًا إلا بالتمكّن من قوله تعالى: {اقرأ باسم ربك الذي خلق} [٣]، فالقراءة والكتابة مفتاح تعلّم كتاب الله تعالى، وذاك هو العلم الذي يُنتفع به، ويرتقي المرء به من مرتبة الأخذ والتعلّمِ إلى منزلة العطاء والتعليم والإنفاق ممّا علّمه الله تعالى.

---

(١)سورة المائدة: الآية ١٦.

(٢)رواه البخاري بسنده عن عثمان بن عفان ﷺ، باب (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) رقم (٥٠٢٧).

(٣)سورة العلق: الآية ١

ولذلك أقول إن القرآن الكريم والحرص على تعلّمه وتعليمه هو سـرّ وجود الكتاتيب وانتشـارها في المجتمعات المسـلمة أولا وآخرا. فهي شـعاعٌ علمي وثقافيٌّ وتربوي كبير في المجتمع المسـلم، حيث تُسـهِمُ في الحفاظِ على اللغة العربيّة ونشـر العلم، وتمسّـك الناس بحبلِ الله المتين، فإذا عمّت

وانتشـرت هذه الكتاتيب في مجتمعاتنا بتلك المعايير التي سـبق أن ذكرناها؛ فسـيكثُر الخير والنفع والفضـيلة ببركة القرآن الكريم، وينشـأ جيلٌ قرآنيٌّ يحفظُ عُرَى الإسـلامِ، ويقيم شعائره ويحفظ شريعته.

الكتاتيب في اللغة:

الكتاتيب جمع "كُتّاب"، ويُقال: كَتَبت الصبيّ في الكُتّاب أي ألحقته بمكان يتعلم فيه الكتابة والقراءة. ويُقال أيضًا: "كَتَبهُ في الكُتّاب" أي ألحقه بمحلّ التعليم، والكاتب هنا هو المعلِّم [1]

وكلمة كُتَّاب تطلق على مكانٍ أو فضاءٍ واسعٍ يكون بجوار المسجد غالبًا، يُشرِفُ فيه شيخُ الحيِّ أو إمامُ المسجد على تعليم الأطفال أساسيّات القراءة والكتابة العربيّة والقرآن الكريم.

الكتاتيب اصطلاحاً: الكتّاب هو مكان يُخصص لتعليم الأطفال مبادئ القراءة والكتابة، ومبادئ المعرفة وتلاوة القرآن الكريم وحفظه، إضافة إلى تلقينهم المبادئ الدينية والأخلاقية.

وكان غالبًا ما يرتبط بالمسـاجد أو يُقام في أماكن بسـيطة ضـمن الحي أو القرية، يديره شيخ أو "مُعلّم" يُعرف بـ "الفقيه" أو "الشيخ".

الكتاتيب: جمع "كُتّاب"، وهو في الأصل مصدر يدل على الكتابة، لكن المقصود به في هذا البحث هو المكان الذي يُحفَّظ فيه القرآن الكريم ويُعلَّم فيه مبادئ القراءة والكتابة. وقد أُطلق عليه هذا الاسم مجازًا من باب إطلاق الحال على المحل، أي أن "الكتاب" في الأصل

(١)لسان العرب ابن منظور ١/ ٦٣٨، معجم مقاييس اللغة – ابن فارس – ٤ / ٤٢١

يشير إلى الأشخاص الذين يكتبون، ثم أصبح يدل على المكان الذي يتم فيه التعليم.

والكتاتيب: في العربية لفظة "الكتّاب"، ويراد بها في عرف هذا اليوم المدرسة التي يتعلم فيها الأطفال وهي من الألفاظ العربية المستعملة في العهود الأولى من الإسلام. ومن قبل كانت مستعملة في الجاهلية، وقد ذكر بعض أهل الأخبار أسماء جماعة ذكروا أنهم كانوا من المعلمين في الجاهلية وكانوا من أصحاب الوجاهة والمكانة. [١] وعادة ما تكون الكتاتيب في زوايا وأماكن خاصة، وتلحق أحيانًا ببعض المساجد، ولهذا النوع من المؤسسات التعليمية أثر كبير في تعليم القرآن ونشره في القرى والمدن، وبين طبقات المجتمع المختلفة، ويعود لها الفضل الكبير في تعليم الصبيان، وتحفيظهم القرآن الكريم في جميع البلاد كافة. كما أن لها أثر مشهود، ودور كبير مهم لا يُنكر فهي أول ما يستقبل الصبي المسلم، وفيها أول ما ينقش على صفحات صدره البيضاء النقية من آيات الذكر الحكيم التي تظل راسخة في ذاكرته مدى الحياة [٢].

ظهور الكتاتيب:

الكِتَابَةُ عِنْدَ العَرَبِ قَبْلَ الإِسْلَامِ:

تدل الدراسات العلمية على أن العرب كانوا يعرفون الكتابة قبل الإسلام، فكانوا يؤرخون أهم حوادثهم على الحجارة، وقد أثبتت الأبحاث الأثرية ذلك بأدلة قاطعة، تعود إلى القرن الثالث الميلادي، وأكثر الآثار التي تحمل كتابات العرب كانت في الأطراف

(١)المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، المؤلف: الدكتور جواد علي (ت ١٤٠٨ هـ) ج١٥/ ص٢٩١، الناشر: دار الساقي، الطبعة: الرابعة ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠١م.

(٢)عناية المسلمين بالوقف خدمة للقرآن الكريم، المؤلف: عبد الوهاب بن إبراهيم أبو سليمان، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ص١١-١٢، ذو الحجة ١٤٣١.

الشمالية للجزيرة العربية حيث كان الاتصال وثيقًا بالحضارة الفارسية والرومية، ومما يذكر أن عدي بن زيد العبادي حين نما وأيفع طرحه أبوه في الكُتَّابِ حتى حذق العربية، وهو أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى. ولقد لعبت الأسرة العربية دورا كبيرا في تعليم أبنائها على امتداد الرقعة العربية وكان للأم العربية الدور الأكبر في التربية والتعليم وعندما يشب الأبناء تستقبلهم مجالس العشيرة فيتعلمون الفروسية والصيد والآداب العربية والشعر وكان معلم الكتاتيب يتكفل بتعليم الأولاد والبنات القراءة والكتابة.

وهذا يدل على وجود بعض الكتاتيب في الجاهلية، يتعلم فيها الصبيان الكتابة والشعر وأيام العرب، ويشرف على هذه الكتاتيب معلمون ذَوُو مكانة رفيعة، أمثال أبي سفيان بن أمية بن عبد شمس، وبشر بن عبد الملك السكوني، وأبي قيس بن عبد مناف بن زهرة، وعمرو بن زرارة المسمى بـ (الكاتب) وغيرهم، وقد اسْتُقْدِمَ أبو جفينة إلى المدينة ليعلم الكتابة، وَ «كَانَ بَعْضُ اليَهُودِ قَدْ عَلِمَ كِتَابَ العَرَبِيَّةِ، وَكَانَ يُعَلِّمُهُ الصِّبْيَانَ بِالمَدِينَةِ فِي الزَّمَنِ الأَوَّلِ، [1] وقد انتشرت الكتاتيب منذ القرن الأول الهجري في الأمصار الإسلامية ويروى أن الكتاتيب أنشئت في مدينة القيروان منذ النصف الثاني من القرن الأول الهجري.

(١)تاريخ الأمم والملوك " للطبري: ص ٤٢ جـ ٥. وكان اللوح المخصص للكتابة موجودًا في وقت مبكر جِدًّا، فلقد روي عن أم الدرداء أنها كتبت على لوح من هذا النوع عبارات في الحكمة، ليقلدها تلميذ كانت تعلمه الكتابة والقراءة» و " تاريخ التربية الإسلامية " للدكتور أحمد شلبي، طبعة بيروت سَنَةَ [١٩٥٤ م] ص: ٢٦. ونضيف إلى هذا – مما يؤكد وجود الكتاتيب – ما رواه عثمان بن عبد الله، قال: «رَأَيْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يُصَفِّرُ لِحْيَتَهُ وَنَحْنُ فِي الكُتَّابِ». انظر " طبقات ابن سعد ": ص ٥٩ قسم ٢ جـ ٤. وقد تعلم زيد بن ثابت في أحد هذه الكتاتيب. انظر " مسند الإمام أحمد: ص ٢٥٩ جـ ٥.

المبحث الأول

نشأة الكتاتيب وخصائصها وأهدافها

نشأة الكتاتيب:

إنّنا إذا ما رجعنا إلى تاريخنا الإسلامي نجد أنّ الرسول -ﷺ- كان المعلّم الأوّل لأصحابه، يحثّهم على طلب العلم ويُقرِئُهم القرآن الكريم كما قرأه على جبريل عليه السلام ثمّ كان الصحابة يُقرِئُ بعضُهم بعضًا، ويحثُّ كلَّ واحدٍ منهم صاحبه على تعلّم القراءة والكتابة، ثم إنّه -ﷺ- جعل التعليم مساويًا للحريّة، حيث جعل فداءَ بعض أسرى بدر ممّن لا مال لهم أن يعلّم الواحد منهم عشرةً من الغلمان الكتابةَ فيُخلّى سبيلُهُ، فكان ممّن تعلّم منهم زيدُ بن ثابتٍ رضي الله عنه [١] وكانت هذه الحادثةُ نقطةَ نشوءِ الكتاتيب في التاريخ الإسلاميّ، وقد استمر نظام تعليم القراءة والكتابة بأمر النبيّ -ﷺ- ثمّ الخلفاء من بعده، روي عن عبد الله بن سعيد بن العاص الله عنه؛ أنّ النبيّ -ﷺ- أمره أن يُعلّم الناس الكتابة بالمدينة، وكان كاتبا محسنًا [٢] كانت بيوت الصحابة ومن جاء بعدهم معاهد علم؛ ومدارس قرآن فما من بيت إلا ويقرأ فيه القرآن؛ ويتدارس؛ وسواء في ذلك الكبار؛ والصغار؛ والرجال والنساء. كذلك كانت توجد الكتاتيب لتحفيظ القرآن، وتعليم القراءة والكتابة؛ وقد أنشئت هذه الكتاتيب في عهد مبكر، وكان لها آثارها العظيمة في حفظ القرآن الكريم واللغة العربية والدراسات الإسلامية. [٣]

---

(١)البداية والنهاية لابن كثير ج ٣ ص ٣٢٨ / مكتبة المعارف بيروت ١٩٩١.

(٢)التراتيب الإدارية لمحمد عبد الحي الكتاني / تحقيق عبد الله الخالدي ج ٢ ص ٤٨

(٤) التربية والتعليم في الإسلام، محمد أسعد طلس، (مصر- القاهرة- الطبعة الأولى ١٩٥٦ ص ٦٣ وما بعدها.

كما كان لبيوت الصحابة والكتاتيب دور عظيم في حفظ القرآن الكريم وتعليم العلوم الإسلامية واللغة العربية منذ العصور الإسلامية الأولى: فكانت منازل الصحابة ﷺ بمثابة مدارس غير رسمية يتعلم فيها الناس القرآن والحديث والفقه. استجابة لحديث وسنة النبي -ﷺ-، حيث كان يحث أصحابه على تعليم أهلهم وذويهم كما ورد في قوله: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه" (رواه البخاري). ومن أمثلة الصحابة الذين كانت بيوتهم مجالس علم:

- دار الأرقم بن أبي الأرقم: كانت أول مقر لنشر تعاليم الإسلام في مكة.
- بيت عبد الله بن مسعود: كان يعلم فيه القرآن، واشتهر بإتقانه للقراءة والتفسير.
- بيت أم سلمة: كانت الصحابيات يتعلمن فيه الأحكام الفقهية المتعلقة بالمرأة.[1]

بعض الكتاتيب ودورها المبكر حيث ظهر نظام الكتاتيب منذ العصر النبوي، وكان الهدف الأساسي منها تعليم الأطفال القرآن الكريم والقراءة والكتابة وكان بعض الصحابة يُشرفون على هذه الكتاتيب بأنفسهم مثل زيد بن ثابت رضى الله عنه الذي تعلم لغات أخرى إلى جانب القرآن، ثم انتشرت الكتاتيب بعد ذلك في جميع أنحاء الدولة الإسلامية منذ عهد الخلفاء الراشدين، وكان لها دور أساسي في الحفاظ على اللغة العربية ونشر التعليم.[2]

(١)التربية والتعليم في الإسلام، محمد أسعد طلس ، ص ٤٣ وما بعدها.

(٢)الكتاتيب؛ نشأتها وأنماطها وأثرها في تعلُّم وتعليم القرآن الكريم، الكتاتيب في مصر أنموذجًا، د مبروك بهي الدين، طبعة مركز تفسير، نُشر ضمن بحوث المؤتمر الدولي الثاني لتطوير الدراسات القرآنية، ط. مركز تفسير، الطبعة الأولى ١٤٣٦ هـ/ ٢٠١٥م، (٣/ ٣١-٩٨).

نشأة الكتاتيب في صدر الإسلام.

بدايات التعليم مع نزول الوحي:

ارتبطت نشأة الكتاتيب ارتباطًا وثيقًا بنزول القرآن الكريم، إذ كان حفظه وتلاوته ضرورة دينية. وقد شجع النبي محمد -ﷺ- الصحابة على التعلم، واتخذ من المسجد مكانًا للتعليم، كما استخدم بعض الصحابة أماكن مخصصة لتعليم الصبيان، وهي النواة الأولى لفكرة الكتّاب [١] ، وكان المسجد النبوي بمثابة أول مركز تعليمي، حيث جلس الصحابة يتعلمون القرآن والحديث والكتابة. وكان يُرسل معلمين إلى القبائل، مثل مصعب بن عمير الذي بعثه النبي إلى المدينة لنشر التعليم والدعوة. لذلك انتشرت الكتاتيب في بداية العصر الإسلامي، حيث كان معلم الكتاتيب يعلم القراءة والكتابة والقرآن الكريم وكان يضع المناهج الدراسية وطرق التدريس والتقييم ويجيز القراء وينسخ الكتب وينشرها فكان معلما وراقا.

البداية التاريخية. يُعَدُّ الكُتَّاب من أقدم المراكز التعليمية عند المسلمين، وكانت مكانة الكُتَّاب في القرون الهجرية الأولى عالية الشأن؛ إذ يُعِدُّ لبداية تعليم أعلى، فكان الكُتَّاب يشبه المدرسة الابتدائية في عصرنا الحاضر، وكان من الكثرة بحيث عدَّ ابن حوقل ثلاثمائة كُتَّاب في مدينة واحدة من مدن صقلية [٢].وقد أنشئت هذه الكتاتيب في عهد مبكر، وكان لها آثارها العظيمة في حفظ القرآن الكريم، فقد ثبت وصح أن النبي -ﷺ- أخذ من القادرين من أسرى بدر الفداء؛ ومن لم يكن قادرًا، قبل منه تعليم عشرة من صبيان المسلمين القراءة والكتابة، وطبعي أنهم كانوا يزاولون ذلك في مكان غير المسجد النبوي؛ لأن المشرك ممنوع من دخوله؛

(١)سير أعلام النبلاء. الإمام شمس الدين الذهبي تحقيق حسين أسد الناشر مؤسسة الرسالة ط٣/ ١٩٨٥م

(٢)التراتيب الإدارية لمحمد عبد الحي الكتاني ط دار الأرقم بيروت (٢/ ٢٩٤).

ويدل على ذلك ما رواه ابن عباس قال: كان ناس من الأسرى يوم بدر لم يكن لهم فداء، فجعل رسول الله -ﷺ- أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة. ثم أنشئت كتاتيب بعد ذلك، وكثرت كثرة خارجة عن الحصر، حتى لا تجد مصرًا أو بلدًا إلا وفيه كُتاب وكتاتيب» [١]

وبعد انطلاق فكرة التعليم الأولي وتعليم الكبار في العهد النبوي، توسَّع العمل بذلك في عهد عمر ﷺ، ومما يدلُّ على هذا أن أطفال الكُتَّاب في المدينة النبوية خرجوا إلى ظاهرها في يوم خميس لاستقبال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ، عند عودته من رحلة فتح بيت المقدس، فأصابهم من السير على الأقدام، في الذهاب والإياب، عناء شديد، فأشار عمر ﷺ ألا يذهب الأطفالُ إلى الكُتَّاب في يوم الجمعة التالي؛ ليستريحوا ممَّا نالهم، وصار الأمر بعد ذلك عادة متَّبعة، في أن يكون يومُ الجمعة يومَ راحة وإجازة، ليس لأطفال الكتاتيب وحدَهم؛ بل لسواهم من المشتغلين في دواوين الدولة وإداراتها [٢].

وعن غياث بن شبيب أنه قال: كان سفيان بن وهب صاحب رسول الله -ﷺ- يمر بنا ونحن غلمة بالقيروان، ويسلم علينا ونحن في الكتاب، وعليه عمامة قد أرخاها من خلفه[٣].

ظهور الكتاتيب كمؤسسات مستقلة: مع توسع الدولة الإسلامية في العصور اللاحقة، ظهر ما يُعرف بالكتاتيب كمؤسسات شبه مستقلة عن المساجد، متخصصة في تعليم الصبيان

---

(١) أسد الغابة في معرفة الصحابة للإمام عز الدين بن الاثير الجزري المتوفى ٦٣٠هجريه ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط/ ١/ ١٩٩٤م (٢/ ٣٢٣).

(٢) الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لأبي القاسم عبد الرحمن السهيلي المتوفى ٥٨١هجريه ط دار إحياء التراث العربي ط ١/ ٢٠٠٠م (٣/ ١٣٥).

(٣) آداب المعلمين، لمحمد بن سحنون / تحقيق حسن حسني عبد الوهاب ص ١٤٨ دار الكتب الشرقية تونس ص٤٠-٤١.

القراءة والكتابة وتحفيظ القرآن، يشرف عليها معلمون عرفوا بـ "الفقهاء" أو "المعلمين".

وقد استمرّ التعليمُ بالكتاتيب مدى الأزمنة والعصور في كلّ المجتمعات الإسلاميَّةِ خاصّةً في البوادي والقرى، فهذه الكتاتيبُ مع بساطتها وضيقِ مساحتِها -عادةً- إلاّ أنّ لها دورًا مهمًّا في محو الأميّة وربط المتعلّمين بكتاب الله، وتنوير عقولهم وصقل ألسنتهم منذ الصغر، وممّن اشتهروا في تاريخنا الإسلامي بالتعليم في الكتاتيب التابعيُّ المقرئُ أبو عبد الرحمن السُّلَمِيُّ الكوفيُّ وقيسُ بن سعدٍ، وعطاءُ بن رباحٍ والكُمّيت الشاعر، وعبد الحميد كاتب بني أميّة، والإمام الزهريّ والأعمش والحجاج بن يوسف الثقفيّ، وأسد بن الفرات فاتح صقليّة، وغيرهم كثير، ومنهم من كان يعلّم الصبيان أوّل النهار والبنات في آخره[١] ونلاحظ من الأسماء المذكورة أنّ الكتاتيب في الزمن الأوّل كان يقوم

عليها علماء كبار، حيث كان الأطفال ينهلون منهم شيئًا من العلوم الإسلاميّة إضافة إلى القرآن الكريم، وهذا ما افتقدَتْهُ بعض الكتاتيبُ في العصور اللاحقة.

الجذور التاريخية للكتاتيب في مصر.

ترجع نشأة الكتاتيب في مصر إلى صدر الإسلام، حيث ظهرت كوسيلة لتعليم الأطفال القرآن الكريم ومبادئ القراءة والكتابة. وقد كان الكُتّاب أولى المؤسسات التعليمية التي عرفتها المجتمعات الإسلامية، واستمرت في أداء دورها التربوي طوال العصور الإسلامية المختلفة، بداية من العصر الراشدي وحتى العهد العثماني. [٢]

وكانت هذه الكتاتيب منتشرة في القرى والمدن، ومتصلة بالمساجد غالبًا، ما جعلها بيئة دينية واجتماعية متكاملة لنقل القيم والتعاليم الإسلامية. وفي العهد الفاطمي، تم تنظيم

(١) آداب المعلمين، لمحمد بن سحنون / تحقيق حسن حسني عبد الوهاب ص ٤١

(٢)- تاريخ التعليم في مصر. طه حسين الرافعي، صـ ٤٥. (١٩٨٨) القاهرة: دار المعارف.

الكتاتيب بشكل أكثر دقة، خاصة في القاهرة، حيث ظهر ما يُعرف بـــ "دار الحكمة" التي كانت مركزًا للتعليم، غير أن الكتاتيب الشعبية ظلت قائمة بوصفها تعليمًا شعبيًا مرنًا. وفي العصر المملوكي، ازداد الاهتمام بالكتاتيب، خاصة في الأرياف، لكونها الوسيلة الوحيدة لتعليم الأطفال، وقد أُلحِق بها بعض فنون التعليم مثل الخط والحساب. (١)

خصائص الكتاتيب التعليمية عبر العصور.

من أبرز خصائص الكتاتيب ومما يميزها عن غيرها من المدارس التعليمية ما يلي:

١. البساطة وقلة التكلفة حيث اعتمدت الكتاتيب على وسائل تعليمية بسيطة (ألواح خشبية، أقلام قصب، ومحابر)، مما جعلها متاحة للفقراء والأغنياء على حد سواء.

٢. التدرج في التعليم: فكان التعليم يبدأ بالأساسيات (الحروف والكلمات)، ثم يحفظ الطفل القرآن الكريم كاملاً، ثم ينتقل إلى مبادئ الحساب والخط والآداب.

٣. التربية الدينية والأخلاقية إلى جانب التعليم الأكاديمي، حيث أولت الكتاتيب أهمية كبرى لغرس الأخلاق والآداب الإسلامية، بما جعل التعليم فيها شاملاً للمعرفة والسلوك وتطبيق الجانب الخلقي.

٤. الاعتماد على الحفظ والتكرار فلقد كان الحفظ هو الطريقة الأساسية للتعلم، فكان الطفل يكرر الدروس بصوت مرتفع حتى يتمكن من تثبيتها، مما عزز قوة الذاكرة والانضباط.

المطلب الأول: تطور نظام الكتاتيب عبر العصور.

تُعد الكتاتيب من أقدم أشكال المؤسسات التعليمية في الحضارة الإسلامية. وقد نشأت استجابة لحاجة المجتمع المسلم الناشئ إلى تحفيظ القرآن الكريم وتعليم الكتابة والقراءة،

(١)- الأزهر والتعليم الديني في مصر. القاهرة: صلاح منصور، ص ٣٠ الهيئة العامة ٢٠٠٧ للكتاب.

ثم تطورت وظائفها مع تطور المجتمعات الإسلامية، فغدت نواة التعليم الرسمي ومصدراً لتخريج العلماء والمثقفين في كثير من المدن الإسلامية ومنها على سبيل المثال:

الكتاتيب في مكة.

يُعدُ المسجد الحرام في مقدمة الأماكن العلمية التي نهل منها الطلابُ العلمَ؛ إذ كانت ساحاته وأروقته تغصُ بحلقات العلم التي كان يدرس بها علماء كبار من علماء الحرم المشهورين في علوم متعددة. وقد كانت حلقات التدريس بالمسجد الحرام من الكثرة بمكان. يقول الشيخ أحمد السباعي رحمه الله: أحصيت حلقات التدريس في المسجد الحرام فبلغت في بعض الأوقات نحو ١٢٠حلقة تتناوب التدريس في الآصال والبكور بين أطراف الليل والنهار في نشاط وزحام.

ثم تأتي الكتاتيب في المكانة الثانية. والكُتَّاب: هو المكان الذي يتلقى فيه الصبيان العلم وقد انتشرت الكتاتيب في أحياء مكة المكرمة حتى بلغت عام ١٣٠٥ هـ ثلاثة وأربعين كُتاباً. وقد أشار الشيخ أحمد السباعي رحمه الله إلى هذه الكتاتيب في هذا القرن قائلاً: وتعددت الكتاتيب في هذا العهد لتعلم القراءة والهجاء ومن أشهرها: كُتاب الشيخ محمد الخياط، والشيخ محمد العناني، والسيد عبد الله مجاهد، والشيخ عبد الله حمدوه السناري، والشيخ أحمد السوركتي وقد كان التعليم في الكتاتيب يستغرق طوال النهار من الصباح حتى الظهر، ثم يعودون إلى الدراسة بعد الغداء إلى ما بعد العصر، وفي بعض الكتاتيب يواصل الطلاب حتى أذان المغرب، وقد كان للفتيات كتاتيب يدرسن فيها. يقول الشيخ أحمد السباعي رحمه الله: وكان للفتيات كتاتيب يدرسن فيها. يقول الشيخ أحمد السباعي رحمه الله: وكان للفتيات كتاتيب موزعة في بعض أحياء مكة أشهرها كتّاب آسية في المروة وقد كانت للكتاتيب احتفالات معروفة عندما يُتم الطالب حفظ القرآن الكريم كاملا.

ويقول الأستاذ فيصل مقادمي: عرفت الكتاتيب نوعين من الاحتفالات الخاصة بتعلم القرآن الكريم وحفظه، وذلك عندما يتخرج الطلاب، وينهون حفظ القرآن، أو عندما يجتازون مرحلة ما في حفظ قدر محدد من سور القرآن. فإذا وصل الطالب إلى هذا الحد أقام أهله احتفالاً بهذه المناسبة، وقد كانت هناك كتاتيب متخصصة في تعليم الخط العربي مع تعليم بعض المواد الأخرى كالحساب. يقول الأستاذ محمد رفيع: كما كان من وسائل التثقيف: ما يدعى بالخطاط يقوم بالمسجد الحرام ويواصل حديثه قائلاً: يجلس الأستاذ عند الباب، وأمامه صندوق صغير فيه ما يلزمه من أدوات الكتابة وترى التلاميذ منتشرين في الرواق الموالي للباب [١].

الكتاتيب في مصر:

كانت مصر - حرسها الله- بمدنها؛ وقراها، وكفورها ودساكرها ونجوعها غاصة بالكتاتيب؛ وفي هذه الكتاتيب حفظ ألوف الألوف القرآن الكريم، وقد كانت هذه الكتاتيب هي الروافد التي تمد الأزهر الشريف بألوف الطلاب كل عام؛ والكثيرون من هؤلاء صاروا أئمة في الفقه والفتوى؛ وفي التفسير؛ والحديث وعلوم اللغة واللسان، والعلوم العقلية والكونية، ومنهم من أثر في إصلاح حياة مصر، بل صلاح حياة الدول الإسلامية والعربية دينيّا وسياسيّا، واجتماعيّا في العصر الأخير، وكان له الفضل الكبير في النهضة المصرية في الأدب والثقافة والسياسة والاقتصاد.[٢]

(١)- دور علماء مكة المكرمة في خدمة السنة والسيرة النبوية، المؤلف: رضا بن محمد صفي الدين السنوسي، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة ص٦-٧

(٢)- الخطط التوفيقية الجديدة" انظر: علي مبارك (١٨٢٣-١٨٩٣): وصف انتشار الكتاتيب في مصر وأهميتها التعليمية، الخطط ٤/ ٦٤ وما بعدها.

أثر الكتاتيب في مصر ودورها في النهضة العلمية والثقافية.

كانت مصر، بمدنها وقراها ونجوعها، غاصة بالكتاتيب، حيث كانت هذه المؤسسات التعليمية الأولى المصدر الرئيسي لنشر العلوم الدينية واللغوية، خاصة القرآن الكريم. فمن خلال هذه الكتاتيب، تمكن آلاف الأطفال من حفظ القرآن الكريم وإتقان اللغة العربية، مما جعلها أحد أهم الوسائل في تعليم القراءة والكتابة ونقل العلوم الدينية.

دور الكتاتيب في إمداد الأزهر الشريف بالطلاب وحفظة القرآن الكريم.

كانت الكتاتيب الروافد الأساسية التي تمد الأزهر الشريف بألوف الطلاب سنويًا، حيث كانوا ينتقلون من هذه المؤسسات التمهيدية إلى الأزهر لاستكمال دراستهم في علوم الشريعة واللغة والفقه والتفسير والحديث والعلوم العقلية. ومن بين هؤلاء الطلاب من صار أئمة وعلماء بارزين في مختلف التخصصات، وكان لهم تأثير كبير في النهضة الفكرية لمصر.

إسهامات خريجي الكتاتيب في العلوم الدينية واللغوية.

برز العديد من علماء الأزهر الذين تخرجوا من الكتاتيب وأصبحوا أعلامًا في الفقه والفتوى والتفسير والحديث، وأسهموا في تأليف الكتب الفقهية واللغوية التي أثرت في الفكر الإسلامي. كما كان لهم دور بارز في تطوير علوم اللغة العربية، مثل النحو والصرف والبلاغة، مما ساهم في الحفاظ على اللغة العربية الفصحى ونشرها.

تأثير الكتاتيب في الإصلاح الديني والاجتماعي والسياسي.

كان للكثير من خريجي الكتاتيب دور في إصلاح الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية في مصر، بل امتد تأثيرهم إلى الدول الإسلامية والعربية. فقد ساهموا في نشر الفكر الإصلاحي، والتصدي للأفكار المنحرفة، والمشاركة في الحركات الوطنية التي سعت إلى تحقيق الاستقلال والتقدم. ومن أبرز الشخصيات التي نشأت في الكتاتيب ثم برزت في الحياة

العامة: الإمام محمد عبده (١٨٤٩-١٩٠٥): درس في الكتاتيب قبل التحاقه بالأزهر، وكان من أبرز المجددين في الفكر الإسلامي. - الشيخ رفاعة الطهطاوي (١٨٠١-١٨٧٣): بدأ تعليمه في الكتاتيب، ثم أصبح من رواد النهضة الفكرية الحديثة في مصر. - الشيخ محمود شلتوت (١٨٩٣-١٩٦٣): أحد خريجي الأزهر البارزين الذين ساهموا في إصلاح الفكر الديني.

تأثير الكتاتيب في النهضة الأدبية والثقافية.

لم يقتصر دور الكتاتيب على العلوم الدينية، بل كان لها تأثير في نهضة الأدب والثقافة، حيث أسهم طلابها في نشر الصحافة، والتأليف، والنقد الأدبي، مما ساعد في تشكيل الهوية الثقافية لمصر في العصر الحديث.

لقد كانت الكتاتيب في مصر من أعظم المؤسسات التعليمية التي حافظت على الهوية الدينية والثقافية للأمة، وأسهمت في تخريج علماء أثروا في الفكر الإسلامي، والنهضة الأدبية، والإصلاح الاجتماعي، والسياسي. ولا يزال أثرها واضحًا حتى اليوم في حفظ القرآن الكريم وتعليم اللغة العربية، مما جعلها أحد أهم الركائز التي قامت عليها الحضارة المصرية والإسلامية. كانت مصر من أول الدول التي عرفت الأنظمة التعليمية في التاريخ، وكان أول ما عرفته هو نظام الكتاتيب، الذي يعتقد الباحثون أنه ظهر منذ العصور الفرعونية، حيث عرفت وقتها بمدارس المعابد وهي مدارس لها علاقة وطيدة بالمعابد الفرعونية. وعلى مر العصور لعبت الكتاتيب دورا محوريا في جعل نسبة الأمية بين الشعوب العربية والإسلامية هي الأقل مقارنةً بسائر الأمم خلال العصور الوسطى، كانت الكتاتيب المصرية أهم سلاح لمحاربة الأمية خاصةً في الريف. ومع أنها لا تمنح شهادات أو مؤهلات إلا أنها وضعت في الأطفال المصريين بذور المعرفة الصحيحة باللغة العربية وقواعدها، فكان حتى

من لا يستطيع التفوق في الكُتَّاب ويتخلف عن أقرانه يتخرج منه لديه المبادئ الأساسية التي تمكنه من القراءة والكتابة.

الكتاتيب ووضع نظام قومي للتعليم.

لقد اهتم علي مبارك بتطوير التعليم في الكتاتيب فهو نفسه تعلم فيها وأحس بنواحي النقص فيها. وقد وصفها بقوله: "كانت الكتاتيب الأهلية في المدن والأرياف جارية على العادة القديمة ليس فيها على قلة أهلها إلا تعليم القرآن الشريف وأقل القليل من يتمه منهم ويجيد حفظه ويجوده ويحسن قراءته مع رداءة الخط في عامة المكاتب". وكانت الكتاتيب في حالة يرثى لها، وصفها أحمد أمين بقوله:

كثير منها إما في دكان أو حجرة مظلمة بجانب مراحيض المسجد والتلاميذ يختلط صحيحهم بمريضهم وقد يكون المرض معديا فأقرع وأبرص وأجرب ومحموم ينشرون العدوى في الأصحاء. يجلسون على حصير بال ويشربون بكوز واحد من زير واحد ويأكلون في الظهر من صحن واحد. وفقيه الكتاب كثيرا ما يكون أعمى لا يحسن أن يرعى التلاميذ ولا أن يدبر شئونهم. وكل كفايته أنه يحفظ القرآن ويحفظه من غير فهم لا علم له بالدنيا ولا بالدين ووسائل التأديب عنده ليست إلا السب والضرب" [1] كما عاب على الفقهاء في الكتاتيب والمدارس الأساليب التي يستخدمونها في التربية وفي مقدمتها القسوة على التلاميذ اعتقاد منهم بأن "عصا الفقيه من الجنة" ومنها، الخوف والرهبة التي كانت تقوم عليها العلاقة بين المعلم والتلميذ مما يدفع الأخير إلى النفاق والرياء. وعلي مبارك نفسه قد قاسى من هذه الأساليب التي جعلته يكره الكتاب كرها شديدا، ومنها آمن بضرورة تطوير أساليب

(١)- فجر الإسلام أحمد أمين طبعة المكتبة العصرية لبان ٢٠٠٦م ص٢١٠".

التعليم والمدارس بحيث تكون مسايرة لمتطلبات المجتمع وحاجاته. [1]

ومع ذلك كله لا يمكن إغفال دور الكتاتيب في الحفاظ على القيم الإسلامية والمبادئ الأخلاقية كما يرجع للكتاتيب المصرية الفضل في الحفاظ على اللغة العربية في مصر إبان فترة الاحتلال البريطاني (١٨٨٢- ١٩٥٤)، فكانت الكتاتيب حافظة لهوية مصر العربية وسببًا لاعتزاز المصريين -حتى يومنا هذا- بعدم تأثر لغتهم العربية بلغة المحتل الأجنبي.

ولذلك كانت الكتاتيب في مصر تقام في مباني متصلة بالمساجد أو مباني مستقلة أو في بيوت معلمي الكتاتيب أنفسهم، حيث كان المعلم يجلس على كرسي أو مصطبة مرتفعة عن الأرض، أما التلاميذ فكانوا يجلسون أمامه على الأرض المفروشة بالحصير، وهذا ما ساد في القرى المصرية بالأخص.

ومن هنا يرجع للكتاتيب المصرية الفضل الكبير حيث كانت مصنع العظماء من رجال الدين والأدب والشعر وكبار المفكرين والعلماء، لذا اعتمد محمد على باشا -والى مصر- على خريجي الكتاتيب في تأسيس المعاهد الأزهرية وحقق من خلالهم نهضة تعليمية شاملة، ومن أبرز خريجي الكتاتيب المصرية المفكر والمترجم رفاعة الطهطاوي والأديب طه حسين.

الكتاتيب في السودان.

عرفت السودان مبكرة الكتّاب كما عرفته الأقاليم الإسلامية المختلفة في كل قرية ومدينة وتجمّع بدوي للمسلمين وقبائلهم التي نزلت السودان على مر العصور، فكانت الكتاتيب تبنى ملحقة بالمساجد أو منفصلة أو يتخذ مسلم داره لتحفيظ القرآن الكريم الذي

(١)-تاريخ التربية في الشرق والغرب محمد منير مرسي، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: طبعة مزيدة ومنقحة ١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٥م، ص٤٤٥.

يعد حفظه أو على الأقل حفظ آيات كثيرة منه فريضة على كل مسلم، ويطرد ذلك طوال الحقب الإسلامية. وعادة كان ذلك يستغرق من الصبي سبع سنوات أو تقل أو تزيد حسب قدرته على حفظ القرآن جميعه، وكان يكتب كل يوم ما يمليه عليه الشيخ أو ما يكتبه من مصحف، وبين يديه محبرة وعود رفيع مدبّب يكتب به واجبه اليومي، حتى إذا حفظه سمعه منه الشيخ، وقد يسمع منه جزءا مما حفظ من القرآن لتثبيته في ذهنه. (١)

لقد تطور نظام الكتاتيب عبر العصور الإسلامية. وكان لكل مرحلة خصائصها بداية من العصر الجاهلي قبل الإسلام ثم ظهور الكتاتيب في عصر النبي -ﷺ- والخلفاء الراشدين ثم توالت هذه المراحل بعد ذلك كما يلي:

١.الكتاتيب في العصر الأموي (٤١-١٣٢ هـ)

شهد هذا العصر بداية الاهتمام الرسمي بالتعليم. حيث أُنشأت الكتاتيب في المدن الكبرى، وكان الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك قد أمر بتعليم أبناء المسلمين الكتابة والقراءة والقرآن. وظهرت ملامح تنظيمية للعملية التعليمية في الكتاتيب. وحلقات العلم حيث انتقلت الكتاتيب إلى المساجد، كما كان لمعلم الكتاتيب الدور الرئيس في إدارة حلقات العلم، فكان يساعد طلابه في اختيار الحلقات العلمية التي تناسبهم بعد أن يجيزهم قراءة وكتابة، وكان يضع المنهاج الخاص به ويعلم طلابه ويرشدهم ويشجعهم.

٢. الكتاتيب في العصر العباسي (١٣٢-٦٥٦ هـ)

بلغ التعليم في الكتاتيب ذروة ازدهاره في العصر العباسي، مع ظهور الوقف على الكتاتيب، حيث خصصت الأوقاف للإنفاق على المعلمين والطلاب. وتوسعت مناهج

(١)- تاريخ الأدب العربي، المؤلف: الدكتور شوقي ضيف، ج١٠/ ص٦٤٤، الناشر: دار المعارف – مصر الطبعة: الأولى، ١٩٦٠ - ١٩٩٥ م

الكتاتيب لتشـمل إلى جانب القرآن الكريم مبادئ الحسـاب والخط العربي وبعض المبادئ الدينية [١]

كما تميز العصر العباسي بإنشاء المدراس النظامية نسبة إلى الوزير نظام، فكانت على ما يبدو أول مدرسة عربية ذات بناء مستقل فيها منامات للطلاب ومطعم ومسبح وصفوف دراسـية ومنح شـهرية وكانت هيئة التدريس مجازة من الدولة ولها راتب منتظم، ثم تم بناء المدرسة المستنصرية نسبة إلى الخليفة المستنصر بالله وكانت المدرستان تقعان على نهر دجله وسط بغداد، لكن المناطق الأخرى كانت ما تزال تتعلم في الكتاتيب التي انتشرت في البادية والأرياف العربية من بغداد إلى الأندلس. الأندلس التي لم تخضـع للعباسـيين وبقيت أموية. كما بقيت الكتاتيب ومعلموها تلعب دورا كبيرا في صـناعة الحضـارة العربية الإسـلامية تلك الحضـارة التي أدهشـت الدنيا، ولم يقتصـر دور معلم الكتاتيب على إنشـاء الحضارة، بل كان له الفضل في الحفاظ على معالمها بعد التفكك الذي أصابها.

٣. الكتاتيب في العصرين الفاطمي والمملوكي.

اهتم الفاطميون بالتعليم المجاني، فانتشـرت الكتاتيب بصـورة كبيرة، واهتم المماليك بإنشـاء الكتاتيب الملحقة بالمسـاجد والمدارس. وكان المعلِّمون يتقاضـون رواتبهم من الأوقاف، وظهرت أنظمة تقييم الطلاب ومكافأتهم.

.٤. الكتاتيب في العصر العثماني.

أصبحت الكتاتيب في العصر العثماني جزءًا رسميًا من النظام التعليمي، ووضعت لها قواعد تنظيمية خاصـة. كانت الكتاتيب العثمانية تبدأ بتعليم الحروف الهجائية ثم قراءة

(١)- مقدمة ابن خلدون للعلامة عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ت ٨٠٨هجري ط دار الفكر العربي بيروت ط ١/ ١٩٨١م

القرآن الكريم وأحيانًا مبادئ الشـريعة والأدب، مع التركيز الشـديد على الأخلاق والآداب العامة [١]

مما سبق تتضح خصائص كل مرحلة من مراحل تطور الكتاتيب وارتباطها بالوقف في الإسـلام ثم التعليم المجاني نهاية بكونها جزءًا رسـميًا من نظام التعليم في مراحله الأولى لذلك كانت الكتاتيب بمنزلة المدارس الابتدائيّة في عصـرنا الحاضـر، وكان لها أكبر الأثر في الحفاظ على اللغة العربية وانتشـارها بين جميع الأعراق المسـلمة؛ إذ كان التلاميذ يتعلّمون فيها القراءة والكتابة العربية والقراءة الصحيحة للقرآن الكريم، كما كان الأطفال المسلمون يتلقّون في هذه الكتاتيب تعاليم الدين الأسـاسـيّة، فيتعرفون على أركان الإسـلام ومعنى الإيمان، ويتعلّمون كيفيّة الوضـوء والصـلاة، إضـافة إلى ذلك كان الأطفال يسـتمعون فيها لجملةٍ من مغازي الرسول -ﷺ- وحياة أصحابه الكرام.

وفي العصـر الحديث: حلّت المدرسـة العامّة محلّ الكتاتيب، ولكنها أخذت جانبًا علمـانيًّا بحتًا على الأغلـب، ووصـل الأمر ببعض البرامج التعليميّة في الـدول العربيّة والإسـلاميّة إلى إهمال العربيّة مقابل الاهتمام المبالغ به باللغات الأجنبيّة، ممّا هدّد العربيّة بالضياع.

مع الانتشـار الواسـع للمدارس بقيت جملةٌ من المجتمعات الإسـلاميّة تحافظ على كتاتيب القرآن الكريم وتحرص على إرسال أبنائها إليها بعد العودة من المدارس الرسميّة أو في الصـيف في العطلة المدرسـيّة الطويلة، وقد كان للكتاتيب دور كبير في الحفاظ على اللغة العربيّة وتعليم القرآن ومبادئ الدين والسـيرة النبويّة ، كما كان لمعلم الكتاتيب دور هام في هذا العصر في الحفاظ على الدين الإسلامي واللغة العربية وما بقي من إرث الحضارة العربية

(١)- مستقبل الثقافة في مصر (طه حسين،). دار المعارف، القاهرة.

والإسلامية، والحفاظ على اللغة العربية والدين الإسلامي فترة الاحتلال الذي سيطر على الدول واستهدف حضارة وثقافة شعوبها.

إن معلم الكتاتيب صانع حضارة استطاع بمجهوده وصبره وثباته تعليم من يقيم الحضارة، ولم يكن يملك سوى لوح خشبي وحجارة بيضاء للكتابة. (١)

المطلب الثاني: أهمية إنشاء الكتاتيب.

كان الهدف من إنشاء الكتاتيب قد تمثّل في تعليم أطفال المسلمين القراءة والكتابة، وحفظ القرآن الكريم، وقد اهتم النبي -ﷺ- بتعليم الأطفال والشباب؛ إذ أمر -ﷺ- أسرى المشركين عقب بَدْر أن يُعلِّم كل واحد منهم عشرةً من الغلمان الكتابة، ويخلِّي سبيله، فيومئذ تعلّم الكتابةَ زيدُ بن ثابت في جماعة من غلمة الأنصار (٢).وكان الأطفال في الكتاتيب يتعلَّمون احترام اللغة العربية، خاصة إذا كتبوا في ألواحهم آيات من القرآن الكريم، أو أحاديث النبي -ﷺ-؛ فقد قيل لأنس بن مالك الصحابي الجليل رضي الله عنه: كيف كان المؤدبون على عهد الأئمة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضى الله عنهم؟ قال أنس: كان المؤدب له أجانه (إناء من فخار يُوضع فيه الماء)، وكل صبي يأتي كل يوم بنوبته ماءً طاهرًا فيمحون به ألواحهم، قال أنس: ثم يحفرون حُفرة في الأرض، فيصبون ذلك الماء فيها فينشف أما ما كان من ذكر الله فلا يمحوه برجله، ولا بأس أن يمحو غير ذلك مما ليس في القرآن.

هذه الصورة الرائعة تعبر أصدق تعبير عما كان في نفوس أبناء ذلك العصر من احترام لكتابة آيات القرآن الكريم وللحرف العربي عندما يكتب به الوحي الإلهي، فيختارون الماء

(١)- من روائع حضارتنا لمصطفى السباعي نشر دار الوراق بيروت ط ١/ ١٩٩٩م ص١٠٠

(٢)- عصر الخلافة الراشدة لأكرم ضياء ط مكتبة العبيكان الرياض ١/ ٢٠٠٩م ص٢٨١

الطاهر لمسحه، ويحفرون له في الأرض ويصبونه لينشف وليكون بعيدا عن أقدام الناس [١]

أما عن طبيعة الدراسة خلال اليوم الدراسي في الكُتَّاب فقد كانت تبدأ مع شروق الشمس وتنتهي بصلاة العصر، وكان أولياء الأمور يُحضِرون أطفالهم إلى الكُتَّاب ابتداءً من عمر ثلاث سنوات، أما أدوات التلاميذ فتلخصت في الأقلام والألواح الخشبية التي استخدموها في الكتابة عليها، ودوام الكُتَّاب كان خمسة أيام فقط ويعطل في الأعياد وأيام البرد الشديد والعواصف والمطر الغزير.

أشهر المعلمين في الكتاتيب.

اتصف معلمو ومعلمات الكتاتيب بالخصال الرشيدة، وكان لا يتولى هذه المهمة إلا من اشتُهر بحسن الخلق والعفاف، مع الخبرة التامة في قراءة القرآن الكريم، والإلمام بالحديث الشريف، ومعرفة علومهما، إضافة إلى معرفة علوم العربية ونحوها من العلوم المساندة، التي تُكوِّن الثقافة الأساسية الابتدائية عند الغلمان والبنات، ومن مشاهير المعلمين أبو علي شقران بن علي الهمذاني، المتوفى سنة ١٦٨ هجرية، وكان من فقهاء تونس وعُبَّادها [٢]ومنهم: أسَد بن الفُرات، فاتح صقلية، وكان قد عمل في بداية حياته معلِّمًا للغلمان، ثم رحل إلى المشرق للاستزادة من العلم، ثم تولَّى القضاء في القيروان، ثم فتح صقلية واستشهد فيها، واشتهر بالاستقامة والشجاعة وسَعة العلم والفقه في الدين [٣] ومنهم:

(١)- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب مالك للقاضي عياض المتوفى ٥٤٤هجري ط دار مكتبة الحياة بيروت ١٩٦٧ م (٣/ ٢٩١).

(٢)- آداب المعلمين، محمد بن سحنون ٢٠٢-٢٥٦هجري ط دار اللؤلؤة مصر ٢٠٢٢م ص١٤٨-١٤٩.

(٣)- جامع بيان العلم وفضله لابي عمر يوسف بن عبد البر المتوفى ٤٦٣هجريه ط الأولى دار ابن الجوزي السعودية ١٩٩٤م (١/ ٤٧٣).

صالح الكلبي، وأبو عبد الرحمن السلمي، ومعبد الجهني، وقيس بن سعد، وعطاء بن أبي رَباح، والكُمَيْت الشاعر، وعبد الحميد كاتب بني أمية، وأبو عبيد القاسم بن سلام، والزُّهري، والأعْمش، والحجَّاج بن يوسف [١].ومن المعلمات المربِّيات: الصحابية الشِّفاء بنت عبد الله العدوية، وعابدة الجهنية، المتوفاة ببغداد في عام ٣٤٨ للهجرة، وآيغر بنت عبد الله التركية، المتوفاة في دهستان عام ٥٤٠ للهجرة، وشمس الضحى بنت محمد الواعظ، المتوفاة بمكة عام ٥٨٣ للهجرة، وعائشة زوجة شجاع الدين بن الماغ، المتوفاة بدمشق عام ٦٥٥ للهجرة، وعائشة بنت إبراهيم الغدير، المتوفاة بدمشق عام ٧١٨ للهجرة، وفاطمة بنت محمد السمرقندي، المتوفاة بحلب عام ٥٧٠ للهجرة، ووجيهة بنت المؤدب، المتوفاة بمصر عام ٧٣٢ للهجرة، ورقية بنت عبد السلام المدنية، المتوفاة بدمشق عام ٨١٥ للهجرة، والهَمَّاء بنت يحيى، المتوفاة باليمن عام ٨٣٧ للهجرة، وزينب ابنة علي السبكي، المتوفاة بمصر في القرن التاسع الهجري، وعائشة بنت الخضر، المتوفاة بمكة عام ٨٣٧ للهجرة، وأم عيسى البغدادية، المتوفاة ببغداد في القرن الثالث عشر.

وقد تعلم كثير من كبار الفقهاء والعلماء في الكتاتيب في صغرهم، فيحكي الإمام الشافعي عن مرحلة الكُتَّاب في صغره فيقول: «كنت يتيمًا في حجر أُمي، فدفعتني في الكتاب، فلمَّا خَتَمْتُ القرآن دخلتُ المسجد فكنت أُجَالِس العلماء [٢] وقد كان الآباء يحرصون على أن يذهب أبناؤهم إلى المعلمين المجيدين، الذين لهم باع ودُربة على تعليم الأطفال، فكان من جملة هؤلاء المسلم بن الحسين بن الحسن أبو الغنائم، (ت ٥٤٤ هـ)، الذي قال عنه ابن

(١)- تاريخ مدينة دمشق لعلي ابن الحسن ابن عساكر المتوفى ٥٧١هجري ط دار الفكر للطباعة والنشر ١٩٩٥م (٥٨/ ٧٤).

(٢)- المصدر السابق (٨/ ٢٦٩).

عساكر: اشتغل بتأديب الصبيان، فحسن أثره في ذلك، وظهر له اسم في إجادة التعليم والحذق بالحساب [١] وقد كان الأمراء والخلفاء يحترمون المعلمين والمؤدبين، وينزلون على آرائهم؛ احترامًا لهم، ولذلك كان المعلمون يتمتعون بالاحترام الوافي من قبل الناس جميعًا، فقد بعث هارون الرشيد إلى مالك بن أنس رحمه الله يستحضره؛ ليسمع منه ابناه الأمين والمأمون، فأبى عليه، وقال: إن العلم يُؤتى، لا يأتي، فبعث إليه ثانيًا فقال: «أبعثهما إليك يسمعان مع أصحابك، فقال مالك: بشريطة أنهما لا يتخطيان رقاب الناس، ويجلسان حيث ينتهي بهما المجلس، فحضراه بهذا الشرط [٢] ولأهمية تعليم الأطفال وتأديبهم اهتم كثير من فقهاء ومؤلفي الإسلام بتربية الأطفال، وإرساء القواعد التربوية المهمة التي تُعين المدرسين والآباء على تعليم أبنائهم فهذا الإمام الحجة أبو حامد الغزالي يضع فصلًا في كتابه القيم (إحياء علوم الدين) بعنوان (بيان الطريق في رياضة الصبيان في أول نشوئهم، ووجه تأديبهم وتحسين أخلاقهم)، ومما جاء فيه:

اعلم أن الطريق في رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدها، والصبيان أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية عن كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما نقش، ومائل إلى كل ما يُمال به إليه، فإن عُوِّد الخير وعُلِّمهُ نشأ عليه، وسعد في الدنيا والآخرة، وشاركه في ثوابه أبوه وكالمعلم له والمؤدب، وإن عُوِّد الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القَيِّم عليه والوالي له [٣].

(١)- إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي الطوسي المتوفى ٥٠٥هجرية طبعة دار المعرفة بيروت (٣/ ٧٢).

(٢)- الحضارة العربية الإسلامية، لعلي حسني الخربوطلي طبعة مكتبة الخانجي القاهرة ص١٤٧-١٤٩.

(٣)- - إحياء علوم الدين مرجع سابق ٣/ ٧٣.

ولم تكن مُقَرَّرَات ومواد التعليم واحدة في العالم الإسلامي؛ بل اختلفت من قُطْرٍ لآخر، وإن كانت تشتمل على القرآن الكريم، والقراءة والكتابة، وأحاديث الأخبار، وبعض الأحكام الدينية، والشعر، وبعض مبادئ الحساب، وبعض قواعد اللغة العربية، وكانت مدة بقاء الطفل في الكُتَّاب خمسة أو ستة أعوام على الأكثر، وتكون في الغالب ابتداءً من السَّنَةِ الخامسة أو السادسة، ويحفظ الطفل خلال هذه الفترة القرآن كله أو بعضه، وعندما يُتِمُّ الطفل مدة الدراسة في الكُتَّاب، ويحفظ القرآن؛ يمتحنه المعلِّمُ ليتأكد منه، فإذا اجتاز الامتحان احتفل بالختمة [1] وكان على كل مسلم أن يأخذ القدر الضروري من العلم الشرعي، وكان أهل العلم يبدؤون تعليم الصغار في الكتاتيب فيعلمونهم أولًا القرآن الكريم والقراءة والكتابة، فكان كل طفل يوجه إلى الكتاتيب، ويتعلم هذه الأساسيات، ثم بعد ذلك يرتقي إلى دروس العلم الشرعية وما يتفرع عنها من علوم أخرى تنفع المسلمين وما كانوا يرتبطون بسن معينة كما حصل الآن في أنظمة التعليم، التي تربط التعليم بسن معين وبمراحل معينة تجعل الناس على وتيرة واحدة، الذكي منهم والغبي؛ بل كان المعلمون يعلمون أبناء المسلمين هذه الأساسيات، فإذا وجدوا عند بعضهم شيئًا من الاستعداد أقرأوه المتون الأساسية حفظًا وشرحًا، فإذا وجدوا منه استعدادًا أكثر نقلوه إلى شرح المتون، فإذا وجدوا عنده استعدادًا أكثر نقلوه إلى شروح الشروح وإلى ما نسميه الآن الموسوعات، وكتب السنن والآثار، وكتب الفقه المطولة، وكتب اللغة المطولة [2].

قال الشوكاني: والحال هنا تختلف من طالب إلى آخر باختلاف القرائح والفهوم وقوة الاستعداد وضعفه، وبرودة الذهن وتوقده، وقد كان الطلب في قطرنا بعد مرحلة الكتاتيب،

(١)- الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل لعلي نايف الشحود ص٣٨.

(٢)- دور الكتاتيب في حفظ الهوية الثقافية لأبنائنا، موقع: المسلم.

والأخذ بحفظ القرآن الكريم يمر بمراحل ثلاث لدى المشايخ في دروس المساجد، للمبتدئين ثم المتوسطين، ثم المتمكنين، ففي النحو: يدرس الطلاب الأجرومية، ثم ملحة الإعراب للحريري، ثم قطر الندى لابن هشام، وألفية ابن مالك مع شرحها لابن عقيل. وفي الحديث: الأربعين للنووي، ثم عمدة الأحكام للمقدسي، ثم بلوغ المرام لابن حجر، فالدخول في قراءة الأمهات وغير ذلك. أما المعلم إذا تغيّب لشغل طارئ فعليه أن يستأجر للصبيان من يكون فيهم بمثل كفايته إذا لم تطل مدة ذلك...، كذلك إن هو سافر فأقام من يوفيهم كفايته لهم، إن كان سفرًا لا بد منه، قريبًا اليوم واليومين وما أشبههما، فيستخف ذلك إن شاء الله، وأما إن بَعُد أو خيف بعد القريب، لما يعرض في الأسفار من الحوادث، فلا يصلح له ذلك [١].

ولقد مثلت الدور المتخصصة في تحفيظ القرآن الكريم (الكتاتيب) دورًا متميزًا في تكوين القيم والأخلاق الإسلامية في عقول كثير من أبناء المجتمع في الدول الإسلامية لفترة من الزمان ليست بالقصيرة، وكانت تلك الكتاتيب قد انتشرت في كثير من ربوع دولة الإسلام من جنوب شرق أسيا، عبر إندونيسيا وماليزيا وغيرها مرورًا بباكستان وأفغانستان ودول شمال آسيا، إلى أقصى الغرب الإسلامي في المغرب وموريتانيا، ثم الجنوب في جنوب السودان والصومال ووسط أفريقيا وغيرها، ولقد وجهت كثير من المخططات الخبيثة المنظمة للقضاء على الآثار الإيجابية لتلك الكتاتيب في العالم الإسلامي، حتى أصبحت مؤسسة (الكتّاب)، تلك المؤسسة الصغيرة العتيدة، مهددة بالانهيار التام بل والانقراض، ومع ذلك نجد أطفالًا قد أتموا حفظ أجزاء كبيرة من القرآن الكريم قبل دخول المدرسة، وخصوصًا في الكتاتيب، ويعرف الجميع دور مكتب تحفيظ القرآن على مستوى القرى

(١)- اللغة العربية الضائعة في جاهلية أهلها، منير إبراهيم تايه.

والأحياء الشعبية في حفظ القرآن ونشره في بلادنا على امتداد القرون الطويلة.

كما يُعرف عن حكام مصر السابقين أمر اهتمامهم بالكتاتيب، وأبرزهم صلاح الدين الأيوبي، الذي أخذ على عاتقه إصلاح شأن الكتاتيب والاهتمام بها على مدى عشرين عامًا، قبيل انتصاراته التاريخية الباهرة على الصليبيين وتحرير بيت المقدس.

منهج الكتاتيب في التعليم:

كان التعلُّم في الكُتاب يأخذ معظم نهار الطالب من بعد صلاة الفجر إلى صلاة الظهر أو العصر عدا يومَ الجمعةِ غالبًا، ويختلفُ منهج التعليم من كُتاب إلى آخر حسب بيئة المُلقِّن ومستوى ثقافته، حيث يجلس المعلّم على الأرض مواجهًا طلّابه، ويتجمّع التلاميذ المبتدئون على مسافةٍ قريبةٍ من الشيخ المعلِّمِ، ويقوم مساعدٌ له من الطلبة المتميّزين بإرشادهم، وغالبًا ما يعتمد التحفيظ على وسائل معروفة من ألواح خشبيّةٍ وأقلام. وأوّل ما يبدأ به الطالب في الكتاب هو تعلم الحروف والكتابة والقراءة عن طريق الشيخ أو عن طريق مساعديه، ثم يلقّنُهُ الشيخُ القرآنَ الكريم إلى أن يتعلّم ويصبحَ ماهرًا يكتُبُ لوحَهُ بيدِهِ، ويُلزِمُهُمُ الشيخ باستظهار القديم قبلَ الجديدِ من المحفوظ، ولا يسمحُ بالخطأ فيه، فإن أخطأ يكلّفُه بإعادته مرّات ومرّات حتى يستظهرَه وقد يعاقبُهُ إن أخطأ.

وكانت عقوبات شيخ الكتّاب نظامًا متعارفًا في الكتاتيب، ولكنّها قد تكون قاسيةً في بعض الأحيان، حتى إنّ منها ما كان سببًا في انفصال العديد من الطلبة عن التعلّم وحفظ القرآن، ومنها ما ترك آثاره السلبيّة في نفوس كثير من الحفظة، كما لا ينكر أحدٌ الآثارَ الإيجابيّة للعقوبات حينما توضع في موضعها وبمقدارها الصحيح. أمّا استراحة الطلاب والمعلّمين؛ فقد كانت يومَ الجمعة، وكانت بداية ذلك في عصر الخلافة الراشدة استنادًا إلى ما رُوِيَ أنّ أطفال الكُتّاب في المدينة المنورة خرجوا إلى ظاهرها في يوم خميسٍ لاستقبالِ

أمير المؤمنين عمرَ بن الخطاب ﷺ؛ عند عودته من رحلة فتح بيت المقدس، فأصابهم من السير على الأقدام عناءٌ شديدٌ، فأشار عمر ألّا يذهب الأطفال إلى الكتّاب في يوم الجمعة التالي ليستريحوا ممّا نالهم [١]، ومن حسنات ذلك الأمر أنه صار بعد ذلك عادةً متّبعةً في أن يكون يومُ الجمعة يومَ راحةٍ وإجازة.

وقد خرَّجت تلك الكتاتيب حُفَّاظًا وقُراء وعلماء كبار في الماضي، ورغم انتشار التعليم الأكاديميّ فقد كان طلاب الكتاتيب متميّزين في المدارس لحذق فهمهم وتوقّد ذاكرتهم بسبب أخذهم القرآن الكريم غضًّا طريًّا منذ نعومة أظفارهم، إلّا أنّ دورها قلَّ في الأزمنة الأخيرة وضعُفَت وظيفتُها، لأنّها لم تَرَ اهتمامًا ولا تطويرًا في منهجها، إضافة إلى انتشار المدارس الحكوميّة.

دور الكتاتيب في نشر العلم الشرعي.

الكتاتيب هي مدرسة القرآن ومعلمة الأجيال، كانت، ولا تزال، من أعظم وأهم المؤسسات التعليمية التي عنيت بتعليم وتحفيظ القرآن الكريم عبر أجيال متوالية، حافظت على اللغة العربية واستقامة اللسان العربي، وكانت بمثابة الدروع التي حافظت على تراث الأمة في مواجهة مدارس الإرساليات التي غزت عالمنا العربي منذ بدايات القرن التاسع عشر وقد نشطت مدارس الإرساليات في بداية القرن التاسع عشر، إلا أنه ومع تنامي الصحوة الإسلامية اشتد الاهتمام العام بدور تحفيظ القرآن، التي تطورت في الآونة الأخيرة من ناحية الشكل والبناء ومع تنامي وانتشار المدارس الأزهرية اهتم العامة والطبقات المتوسطة بإرسال أطفالهم إلى الكتاتيب للهروب أولًا من المدارس الخاصة وتكاليفها، إلى جانب الحرص على التعليم الديني وخاصة للفتيات، حيث تم افتتاح معاهد أزهرية خاصة بهن

(١)- التراتيب الإدارية. مرجع سابق ٢/ ٢٩٤.

بجانب معاهد البنين القديمة.

الكتاتيب تُمثلُ النظام التعليمي والأخلاقي الأمثل.

كانت الكتاتيب، وما زالت، الأداة التعليمية الرئيسية التي ينتقل بها العلم الديني، وبالذات القرآن الكريم، من جيل إلى جيل، كما كانت الأداة التي تشع منها قاعدة التنوير الديني وحفظ القرآن ونشره، كما أن الكتاتيب هي النظام التعليمي المناسب والملائم لاحتياجات المجتمع المتنوعة، بحيث كانت تندمج بشكل طبيعي في نشاطات وحياة المجتمع الصغير اليومية، سواء في القرية أو في الحضر، كما كانت الكتاتيب نظامًا تعليميًا مجانيًا لا يكلف المجتمع أية أعباء للدراسة، فوق أنها تستمد تكاليفها المادية إما من نظام الأوقاف أو من التبرعات البسيطة والجهود التطوعية للمجتمع. هذه الكتاتيب هي النظام التعليمي الأمثل من عدة نواح، على الأقل من ناحية التعليم الأساسي والأولي، وهي منظومة ضرورية في حياة المجتمع المعاصر، ولا يمكن القول مثلًا أن نظام رياض الأطفال أو السنوات الأولى من التعليم الأساسي يمكن أن تحل محل الكتاتيب؛ لأن هذه الأنظمة الحديثة لا تتمتع بنظام الكتاتيب في التعليم المباشر وفي إتقان الجوانب الدينية [1]

المطلب الثالث: أهداف الكتاتيب ومناهجها وبرامجها.

كان الهدف الأساسي من الكتاب تحفيظ القرآن الكريم وتعليم القرآن والكتابة لأن حفظ القرآن لا يسهل إلا بتعليمها. وكان يشترط في تعليم القرآن حسن الترتيل وجودة قراءته. ولما كانت معرفة القرآن معرفة صحيحة تستلزم الإلمام بقواعد الإعراب كان معلم الكُتَاب يعلم تلاميذه عبارات النحو واللغة

وكان يدرس أحيانا الحساب وأيام العرب وتواريخها. وكان الكُتَاب يمثل بداية مراحل

(١)- المدخل لدراسة القرآن الكريم: محمد بن محمد أبو شهبة. ط دار السلام القاهرة ص٤٢٠.

التعليم ينتقل منه الصبي إلى إكمال تعليمه في المسجد حيث يتوسع في طلب العلم. [١]

وكان لظهور الكتاتيب والمدارس الأهلية أثر عظيم في النشاط العلمي خلال النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري، وامتد الأثر لبعض هذه المدارس حتى الآن [٢]

كما يبدو أن الفكرة الأولى من إنشاء الكتاتيب في صدر الإسلام كانت لتعليم الأطفال أوليات القراءة والكتابة والحساب وحفظ القرآن كله أو بعضه. فلما انتظمت شئون الدولة الإسلامية في عهد بني أمية عنى الناس عناية شديدة بهذه الكتاتيب لتخريج طبقة من الكتاب ومستخدمي الدولة وموظفيها ورجال الأعمال خارج وداخل الدولة. وما أن جاء القرن الثاني الهجري حتى كانت الكتاتيب قد انتظمت شئونها وصار لها برامج ومناهج تطبق في كتاتيب الصبيان "البنين" وأخرى في كتاتيب "البنات" وكانت هذه الكتاتيب بوجه عام تسير وفق أنماط من النظم والبرامج تتلخص فيما يلي:

أولا: كانت الطريقة السائدة في معظم أنحاء العلم الإسلامي هي تحفيظ القرآن الكريم، بحيث يبدؤون في إقراء الطفل للقرآن بجملته قراءة دارجة ثم يعمدون إلى تحفيظه إياه كله أو ما تيسر منه، وقد يبدأ المعلم بإعراب بعض آياته وتفسير بعضها بصورة مختصرة موجزة ثم يبدأ في ترتيله وتجويده ثم يعلمهم مبادئ العلوم والآداب التي تعينهم على تفهم معاني كتاب الله الكريم. أي أن المعلم كان يعني بحفظ القرآن وإعرابه من حيث الشكل ثم الاهتمام بالهجاء والإملاء والخط الحسن والقراءة الجيدة ولا يجوز أن يقرأ بالألحان، ولا

٢ - التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، محمد منير مرسي، عالم الكتب، ط ١٤٢٥ هـ ٢٠٠٥م ص٢٨٧.

(٢)-دور علماء مكة المكرمة في خدمة السنة والسيرة النبوية، المؤلف: رضا بن محمد صفي الدين السنوسي، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ص٦٤.

يعلمهم التحبير (تحسين الصوت كالغناء) ويلزمه أن يعلمهم الوضوء والصلاة فهي أصل العبادات- فكلن منهجهم على أن القرآن أصل التعليم. [١]

ثانيا: وأما أهل المغرب فمذهبهم الاقتصار على تعليم القرآن فقط ولا يخلطون معه شيء من مجالس تعليمهم لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب إلى أن يحذق فيه أو ينقطع دونه.

ثالثا: وأما أهل الأندلس فقد اهتموا بتعليم الطفل اللغة العربية والشعر والآداب حتى إذا ما برع في هذه العلوم انتقل إلى دراسة القرآن الكريم بحجة أن الطفل لا يستطيع فهم وإدراك معاني القرآن الكريم ما لم يلم بأصول اللغة العربية وآدابها. ولكن هذا الرأي مردود عليه ذلك لأنه من المتفق عليه أن الطفل يسهل عليه حفظ القرآن في السن المبكرة وربما صعب عليه ذلك في السن المتقدمة وبذلك تضيع عليه فرصة تعلم القرآن الذي هو منبع الدراسات كلها. والرأي السائد هو ما سارت عليه معظم بلاد المسلمين في ذلك الوقت وهو الجمع بين حفظ القرآن وتلاوته وتجويده مع دراسة اللغة العربية وآدابها وقواعدها بالإضافة إلى بعض فروع المعرفة الأخرى التي توسع مدارك الطفل وتؤهله للحياة كما هو متبع حاليا في بعض معاهدنا وجامعاتنا ذات الطابع الإسلامي الأصيل. [٢]

استمرار الكتاتيب في البلدان الإسلاميّة.

ما زالت الكتاتيب قائمةً بفضلِ الله في معظم البلدان الإسلاميّة وخاصة في إفريقيا وشرق آسيا، كما يُلاحَظُ أيضًا انتشار حفظ القرآن في الكتاتيب القرآنيّة بتقاليدها القديمة في بلدان

(١)-مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، المؤلف: الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية ج١٢/ ٤٣٣، تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١.

(٢)- المرجع السابق، ج١٢/ ص ٤٣٤.

المغرب العربيّ بشكل كبيرٍ بدايةً من ليبيا ومرورًا بتونس والجزائر والمغرب وصحاري موريتانيا، وينالون المراكز الأولى في نسبة حفظ القرآن الكريم. وخير شاهد على ذلك حفظ القرآن وتعلمه في بلاد الشام كمصر والعراق وأقاليم المغرب الإسلامي حيث كانت ولا تزال موئلًا للعلم والدين تنتشر فيها المدارس الإسلامية والكتاتيب فتمحو عنها عتمة الجهل والتخلف، كانت كذلك في التاريخ القديم واستمرت على نسق واحد في فترة الخلافة العثمانية وحتى ما بعد ذلك سواء في فترة الاحتلال الفرنسي أو الحكومات اللاحقة. وما الإقبال الكبيرُ هذا إلَّا بعدما أيقنَ الجميعُ أنّ القرآن هو السبيلُ المنجى، وأنّه هو النور الذي يُنيرُ حياة الإنسان، وهو الخير كلّه، قال سبحانه: {فمن اتّبع هداي فلا يضلّ ولا يشقى} [١] فمن حَفِظَ القرآن الكريم وعمل به؛ لا يضلّ في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، عن أبي شريحٍ الخزاعيّ ﷺ قال: خرج علينا رسول الله -ﷺ- فقال: (أبشروا أبشروا أليس تشهدون أنْ لا إله إلا الله، وأنّي رسول الله؟ قالوا: بلى، قال: إنّ هذا القرآن سببٌ -أي حبلٌ- طرفُهُ بيد الله، وطرفُهُ بأيديكم فتمسّكوا به، فإنّكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبدًا [٢]).

واقعُ الكتاتيب اليوم.

لقد ضَعُفَ دورُ الكتاتيب في عصرنا الحالي نظرًا لحلول المدرسة والتعليم الرسميّ محلّها، ولكنها ما زالت مستمرّة في معظم المجتمعات الإسلاميّة في فترة الإجازة الصيفيّة أو بعد العودة من المدرسة، ومع كلّ التهميش والمضايقات التي تُحاصِرُها فما زالت قائمةً بفضل الله، إن عدم إدراكِ أهمّيّة الكتاتيب القرآنية ودورِها في الحفاظ على الدين واللغة من قبل بعض المجتمعات يُهدّدُ مستقبلَها، ممّا يوجِبُ علينا التعريفَ الدائمَ بدورها في المجتمع

(١)- سورة طه: الآية ١٢٣.

(٢)- رواه الطبراني في الكبير وابن حبان في صحيحه.

والحرصَ على دعم مسـيرتها ورغم ما هو معلومٌ للجميع من إيجابياتِ هذه الكتاتيبِ فإنّها لا تخلو من بعض المآخذ، منها:

١- أنّ بعضَ المعلمينَ لا يهتمّ بمن تحت يدِهِ بمقدار ما يهتمّ بما يجني منهم من رزقٍ زهيدٍ وبعضهم متطوّعون لا ينالون مقابل عملهم أجرًا ممّا يُشغلهم عن التفرّغ التامّ للتعليم.

٢- ضعفُ التكوينِ العلميّ والمنهجيّ للشيخ المعلّم، فأغلبهم لا يزيدون على حفظ القرآن دون إلمامٍ بعلومِ اللغة أو التفسـير، ممّا يقيم قطيعة بين تلاوة القرآن الكريم وفهمِهِ، وبين الحفظِ والسلوكِ.

٣ - قصـورُ البرنامج التعليميّ فيها عن الحِفاظ على شـخصـيّة اليافعين في مواجهة دعوات التطرّف والغلوّ التي تستغلّ طلّاب القرآن لخدمة الإسلام؛ إذ تقوم بتوجيه بعضهم إلى خدمة أهدافها الشريرة.

٤- ومن سـلبيات الكتاتيب قديمًا وحديثًا الاهتمام بتحفيظ الذكور دون الإناث في أغلب الأحيان.

٥- عدم الاهتمام بطرق التعليم الحديثة -التي تتناسـب أكثر مع تركيبة الطفل في عصـرنا- وما فيها من وسائل التحفيز التي تحبّب الطالب بكتاب الله، وتجعله يتردّد على الكُتّاب بفرحٍ وشَغَفٍ.

ذلك مما يوجب علينا أن يتم تطوير الكتاتيب فرغم بسـاطة الكتاتيب في الماضـي، إلا أنها بدأت تتطور في السـنوات الأخيرة، حيث ظهرت كتاتيب تعتمد على التكنولوجيا، وتستخدم الوسائل السمعية والبصرية في التعليم، مع الحفاظ على المضمون الديني الأصيل. كما تبنت بعض الجمعيات الخيرية دعم هذه الكتاتيب، وتقديم رواتب للمحفظين، وتوفير

بيئات تعليمية جاذبة للأطفال [١]

وهذا التطور سمح للكتاتيب بالبقاء والمنافسة، رغم هيمنة التعليم الرسمي. كما أتاح لها التوسع في المدن، وليس فقط في القرى، ما زاد من تأثيرها التربوي والثقافي.

المطلب الرابع: واقع الكتاتيب في العصر الحاضر (أهم التحديات وطرق معالجتها)

رغم الدور الحيوي الذي تلعبه الكتاتيب، إلا أنها تواجه تحديات عدة، منها:

ضعف الدعم الحكومي والنظرة السلبية من بعض الأوساط العلمية. وقلة التأهيل الأكاديمي لبعض المعلمين، بالإضافة الى المنافسة مع الوسائط الرقمية والثقافة الغربية المهيمنة على الإنترنت.

كل ذلك يتطلب تطوير الكتاتيب دون التفريط في جوهرها، عبر: إدماج تقنيات التعليم الحديثة بما لا يفرّغ المحتوى من أصالته، مع تحسين بيئة الكتاتيب ومناهجها، وإنشاء برامج لتأهيل معلمي الكتاتيب أكاديميًا وتربويًا. [٢]

كل هذه التحديات ليست وليدة اليوم، بل لها تاريخ قديم خاصة في مصر حيث كانت الكتاتيب التي تعلم القرآن الكريم والعلوم الأولية للناشئة من أبناء المسلمين، ومع ذلك لم تنج من غائلة محمد علي؛ فقد ذكر الجبرتي رحمه الله أن كثيرًا من المكاتب أغلقت بسبب تعطل أوقافها واستيلاء محمد علي عليها وذكر الشيخ محمد عبده أن ما أبقاه محمد علي من أوقاف الأزهر والأوقاف الأخرى لا يساوي جزءًا من الألف من إيرادها. وأنه أخذ من أوقاف الجامع الأزهر ما لو بقي إلى اليوم (في عهد الشيخ محمد عبده) لكانت غلته لا تقل

(١)- الكتاتيب الحديثة: النشأة والتطور. عبد المجيد الحنفي، صـ٩٨ دار الحكمة القاهرة: ٢٠٢٠ م.

(٢)- مستقبل التعليم التقليدي في ظل التحديات المعاصرة، إمغران يونس، منشورات جامعة فاس.

عن نصف مليون جنيه في السنة، وقرر له بدل ذلك ما يساوي أربعة آلاف جنيه في السنة [١]

تراجع دور الكتاتيب:

لقد شـــهدت الكتاتيب تراجعًا ملحوظًا في العقود الأخيرة بعد ظهور المدارس الأولية والإلزامية، حيث أصبح نظام التعليم المدرسي هو السائد. هذا التحول أدى إلى انحسار دور الكتاتيب تدريجيًا حتى أوشكت على الزوال. ومع أن هناك بعض الجمعيات التي تركز على حفظ القرآن الكريم، إلا أن هذه الجمعيات لم تتمكن من أن تحل محل الكتاتيب في مجال التحفيظ، وذلك لعدة أسباب، أهمها تبني المناهج المدرسية التي غلبت على ما كان يقوم به النظام لتقليدي.

إن الأســـلوب التقليدي لتحفيظ القرآن في الكتاتيب كان يعتمد على الكتابة في الألواح والتصحيح المتواصل من الفقيه، وهو أسلوب فعال في تنمية المهارات القرائية والكتابية. في المقابل، أصبح الحفظ الآن يعتمد على المصاحف المدرسية، وهو ما أدى إلى تقليص أثر الكتاتيب. وبالرغم من ذلك، تظل بعض الدول الإسلامية في آسيا وإفريقيا تحافظ على هذا النظام التقليدي، حيث يتم تحفيظ القرآن الكريم باستخدام الألواح كما كان يتم في مصر سابقًا. من الجدير بالذكر أن مصر كانت رائدة في هذا المجال حيث كانت تعد من أكبر مراكز حفظ القرآن الكريم، وقد ساهمت الكتاتيب في إنشاء أجيال من الحفاظ والعلماء الذين أثروا في العالم الإسلامي. ولا يزال الكثير من المسلمين في دول مختلفة يحتفظون بنظام الكتاتيب، خاصة في المناطق الريفية والنائية، حيث يُمكّن هذا النظام الفتيان من تعلم القرآن الكريم بأفضل الطرق التقليدية، ويُتاح لهم الغذاء والمأوى والكسوة، مما يضمن استمرارية هذا التراث الإسلامي في بعض الأماكن. وإن يكن من تراجع في عدد الكتاتيب

(١)- "مذكرات الإمام محمد عبده" لطاهر الطناحي، دار الهلال. القاهرة (ص ٤٤).

ودورها في التعليم مما يمكن أن يكون له تأثيرات عميقة على المجتمع الإسلامي وإذا لم يتم تعزيز هذه الطريقة التقليدية في الحفظ والتعلم، خاصة إذا أخذنا في الاعتبار أن الكتاتيب كانت أكثر من مجرد أماكن لحفظ القرآن، بل كانت تشكل أيضًا مراكز لبناء الشخصية الدينية والتربية الإسلامية. ولما أنشئت المدارس الأولية، ثم الإلزامية ... بدأت الكتاتيب تضمحل شيئا فشيئا حتى أوشكت على الزوال، وإن جمعيات المحافظة على القرآن الكريم، وإن كانت غير منتشرة في البلاد؛ لم تغن غناء الكتاتيب في تحفيظ القرآن، لأن المنهاج المدرسي غلب عليها، وأصبح التحفيظ فيها عن طريق الحفظ في المصاحف، لا الكتابة في الألواح كما كان أسلوب التحفيظ في الكتاتيب، وتكاد تكون هذه الطريقة مندثرة اليوم في الديار المصرية بعد أن كانت هي المجلية والسابقة في هذا المضمار. وقد كانت الديار المصرية زعيمة العالم الإسلامي في حفظ القرآن الكريم، وحذق قراءاته، وفي الكثرة الكاثرة من حفاظه وأهله، وكل ذلك كان بفضل الكتاتيب التي كانت تنتشر في كل مكان. ومع ذلك؛ مما يذكر بالاعتزاز والإكبار أن طريقة تحفيظ القرآن عن طريق الكتابة في الألواح والتصحيح على الفقيه، والعرض عليه مرارا، حتى يسمح له بالانتقال إلى كتابة جزء آخر من القرآن وحفظه، لا تزال في كثير من البلاد الإسلامية، ولا يزال كثير من المسلمين في آسية وإفريقيا، يحتفظون بنظام الكتاتيب، وهناك كثيرون من أهل الصلاح والتقوى، والقرآن يجمعون المئات من الصبيان في كتاتيبهم التي يسمونها «دار القرآن الكريم» ويحفظونهم القرآن، ويتكفلون بهم طعاما، وسكنى، وكسوة.

تحديات معاصرة تواجه نظام الكتاتيب في العصر الحديث.

مع دخول التعليم النظامي الحديث إلى الدول الإسلامية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين، تراجعت أهمية الكتاتيب تدريجيًا. وقد واجهت عدة تحديات، منها: ضعف

الموارد المالية.، وعزوف بعض الأهالي عن التعليم التقليدي لصالح المدارس الحديثة، مع النظرة السلبية أحيانًا إلى أساليب التعليم التقليدية [١] .

غير أن بعض الدول الإسلامية سعت إلى تطوير الكتاتيب وجعلها أكثر مواكبة للعصر، بإدخال أساليب تربوية حديثة، مع المحافظة على وظيفتها الأساسية في تحفيظ القرآن وتعليم مبادئه.

يتبين من خلال استعراض نشأة الكتاتيب وتطورها أنها كانت ولا تزال مؤسسة تربوية عريقة، أسهمت في بناء الشخصية الإسلامية عبر العصور. ومع التغيرات الاجتماعية والثقافية الحديثة، تظل الحاجة ماسة إلى إعادة الاعتبار للكتاتيب وتطويرها بما يتناسب مع متطلبات العصر، مع الحفاظ على رسالتها التربوية الأصيلة.

ومن أبرز التحديات التي واجهتها الكتاتيب ظهور نظام التعليم الرسمي الذي فرضته الدول الحديثة بعد الاستقلال، والذي غالبًا ما همش التعليم الديني لصالح المواد العلمية واللغوية الأجنبية. وقد أدى ذلك إلى اعتبار الكتاتيب مؤسسات غير معترف بها رسميًا، وهو ما قلل من إقبال الأسر عليها، خصوصًا في المدن الكبرى حيث أصبحت الشهادات الرسمية هي المعيار الأساسي للارتقاء الاجتماعي والوظيفي [٢] كما أن الصورة النمطية التي رسمها الإعلام الحديث للكتاتيب باعتبارها مؤسسات تقليدية متخلفة ساهمت في تنفير الجيل الجديد من الالتحاق بها. فقد صورت بعض الأفلام والمسلسلات معلمي الكتاتيب (المُعلّمين أو الفُقَراء) بأنهم قساة ومتخلفون، مما أثر سلبًا على صورة هذه المؤسسات في أذهان الناس وعقولهم.

(١)- ويقصد به عند العقاب على الخطأ: الضرب أو الحفظ الصارم.

(2)- Louis Massignon, La passion de Hallaj, Paris, 1975, p.77.

مطاردة الكتاتيب من قِبَل الاحتلال الأجنبي.

لما جاء المحتل الأجنبي كانت أولى خطواته تجفيف منابع التدين، حسب المخططات الحديثة لمحاربة الإسلام، ومن أهمها مطاردة تلك الكتاتيب وإغلاقها، وإضعاف دورها وإهمالها، وقطع المعونات المادية عنها، وصرف التلاميذ والأطفال بعيدًا عنها، وعدم العناية بالمحفظين. وتأتي تلك الضربات من عدة نواح، أبرزها من خلال الغزو الثقافي التغريبي، الذي اجتاح البلدان العربية والإسلامية منذ منتصف القرن الماضي، والذي سخر الأدب ووسائل الإعلام للنَّيْل من صورة الشيخ محفظ القرآن الكريم، وتصويره في القصص والروايات، وكذلك في الأفلام والمسلسلات بشكل هزلي كأنه إنسان بشع، يتلذذ بضرب الأطفال، ويتناول طعامهم، وخارج عن السياق الاجتماعي والأخلاقي. ومن الشواهد على ذلك: ما جاء في قصة الأيام لطه حسين، والتي كانت مقررة، وما زالت، على مختلف مراحل التعليم الإعدادي والثانوي في البداية لترسيخ هذه الصورة، وقد تحولت لعمل درامي أخذ أشكالًا مختلفة، ووضع صورة نمطية لسيدنا الشيخ (المحفظ) ومساعده (العريف)، وتلا ذلك سيل من الأعمال الأدبية والإعلامية التي سارت على نفس هذا المنهج المنفر من محفظ القرآن ومدرس الدين.أما بقية الخطة المنظمة لتجفيف منابع الدين وحصار دور الكتاتيب فقد جاءت على عدة محاور، أهمها التضييق على المحفِّظين، وإغلاق الأبواب في وجوههم بدلًا من مساعدتهم والاهتمام بشأنهم. حين كانوا يعتمدون في معيشتهم على بعض العطايا المتواضعة من أسر الأطفال فقط، ولا يستطيعون ممارسة التجارة أو الزراعة أو العمل خارج البلاد، ومن ثم ظلت أحوالهم الاقتصادية متواضعة، حتى إن وزارة الأوقاف كانت قد أقرت لهم مكافآت رمزية لبعض الوقت، لكن سرعان ما توقف هذا الدعم المتواضع، وقد أدى هذا تباعًا إلى أن أبنية الكتاتيب صارت في معظمها قديمة،

وغير مؤهلة على المستوى الإنشائي والصحي لاستيعاب أعداد كبيرة من الأطفال، وخصوصًا أبناء الطبقة المتوسطة وأبناء المتعلمين، الذين يطمحون في إلحاق أبنائهم بدور تحفيظ متطورة، ومن ثم لا يجدون بغيتهم في الكتاتيب؛ فيلحقون صغارهم قبل سن المدرسة الابتدائية بدور الحضانات، التي بدأت تنتشر في الريف على حساب الكتاتيب، وتجد تشجيعًا مشبوهًا من بعض المؤسسات العلمانية.

إن هذه المؤسسات وضعت ضمن أهدافها وأولوياتها تشجيع وإقامة دور الحضانات في الريف، وتزويدها بالمناهج المختلفة التي تعج بالغث من المواد، ورغم أن هناك العديد من المحاولات التي يقوم بها بعض العلماء وأهل الخير للاهتمام بالكتاتيب من خلال الجمعيات الأهلية، التي تساهم في مساعدة المحفظين ببعض الأموال، أو تقديم المعونات للنهوض بالأبنية القديمة، إلا أنها في النهاية جهود فردية، يتم حصارها في كثير من الأحيان [1] كما حدث حين أَصدرت الحكومةُ الإيطاليةُ في لواءِ بنغازي أمرًا بسدِّ جميع الكتاتيبِ التي تُعلمُ الأطفال أمورَ دينهم وتُحفِّظُهم قرآنهم الكريم.

إن للبيئة الثقافية دور أساسي في خلق جو من التفاعل اللغوي والإيجابي، من خلال إتاحة الفرص المناسبة لتعلم اللغة وممارستها على النحو الذي يناسب مستوى نضج الطفل، ويساعده على النمو العقلي والانفعالي، ويتشكل ذلك المناخ الثقافي الفعال من قدرة الأسرة على التفاعل اللغوي المثمر، وتوجيه الطفل إلى هذا التفاعل كإلحاقه بجمعيات تحفيظ القرآن (الكتاتيب) التي تعد الطفل ليكون ذاكرًا لأكبر تراث لغوي، ومحافظًا على ذاته من خلال ذلك التذكر الواعي لآياته، حيث يقول الحق ﷻ: {قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ

(١)- اللغة العربية الضائعة في جاهلية أهلها، منير إبراهيم تايه.

رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ} [١]

ويقول: {وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدىً وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمىً أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ} [٢]ومن أفضل نعم الله على أمة محمد -ﷺ- أن جعل دستورها قرآنًا عربيًا غير ذي عوج، من تعلمه وعمل به فقد فاز في الدنيا والآخرة، ومن تركه فقد خسر خسرانًا مبينًا.

ورغم انحسار عدد الكتاتيب في وقتنا الحالي، مقارنةً بأعداد دور الحضانة الحديثة، إلا أنَّ أهميتها الكبيرة تجعل منها قيمة لا تبلى حتى مع مرور الزمن؛ لذا فهي تستحق المزيد من الدعم والاهتمام من الحكومات والشعوب العربية على حدٍ سواء فيكفي أنها تحفر في وجدان النشء العربي انتماءه للغته العربية، وإتقانه لها في أهم مراحله العمرية، وتستطيع الكتاتيب أن ترفع الحصيلة اللغوية للطفل إلى أكثر من خمسين ألف كلمة قبل بلوغه سن السبع سنوات! مما يساهم في تنمية ذكائه وتعزيز قدراته، وهذا ما لم تستطع دور الحضانة الحديثة تحقيقه. ولا شك أنه أصبح من الملحوظ جدًا مدى ركاكة اللغة العربية، وكثرة الأخطاء الإملائية، حتى عند بعض خريجي الجامعات من العرب، فإذا لم تكن عودة الكتاتيب هي الحل الوحيد للقضاء على هذه الظاهرة فهي بالتأكيد أهم الوسائل المُثلى التي نستطيع من خلالها حماية الأجيال القادمة من طمس هويتهم وثقافتهم.

(١)- سورة يونس من الآية ٥٧

(٢)- سورة فصلت الآية ٤٤

نموذج من الدعوات المعارضة لعودة الكتاتيب.

مما جاء في حديث بعض الكُتاب في جريدة الأهرام عن عودة الكتاتيب بما يبين بعض الدعوات المغرضة والتى تسعى لعرقلة كل ما يتصل بالتعليم الدينى حتى ولو كان الغرض عدم تعلم القرآن الكريم وتعليمه حيث قال:لم أسعد كثيرا بفكرة إعادة نظام الكتاتيب الذي عفا عليه الزمن في الوقت الذي علينا أن نجتهد للحاق بنظم التعليم الحديثة في العالم والتي قطعت أشواطا بعيدة في الارتقاء بالتعليم وفق المتغيرات العالمية في عصر الرقميات الحالى، فأمامنا قدر هائل من التجارب العالمية الناجحة في دول مثل فنلندا واليابان وسنغافورة وغيرها، ما علينا إلا أن ندرسها ونبحث كيف يمكن أن نطوعها لاحتياجاتنا الخاصة، لقد بدأنا في الخمسينيات تطبيق نظام نشر التعليم على أوسع نطاق، وكنا نفتتح مدرسة جديدة كل بضعة أيام، وكان هذا قرارا صائبا في بلد تفشت فيه الأمية على مدى قرون سابقة، لكنا توقفنا عند هذا الحد ومع بداية السبعينيات انخفض مستوى التعليم ولم يعد يرتقى عن الأمية التي نحاربها إلا قليلا، والتحدي الأكبر أمامنا اليوم ليس العودة للمستوى الذى كان عليه التعليم في السابق، وإنما القفز إلى المستويات المتقدمة التى وصل إليها العالم من حولنا إن كنا نريد أن تعيش أجيالنا الجديدة في القرن الواحد والعشرين وليس في العصور الوسطى، وفى اعتقادي أن أهم ما علينا تحقيقه هو صياغة أسلوب جديد في التعليم يعتمد على تنمية المهارات الإبداعية وتكريس التفكير النقدي، وهو ما لم نفعله حتى الآن حيث انحصرت محاولات وزارات التعليم المتعاقبة في زيادة بعض المواد أو إلغائها، وفى زيادة سنوات الدراسة أو تقليلها، في الوقت الذى يمثل نظام تعليم الكتاتيب الأسلوب الذى علينا أن نتجنبه، وهو نظام التحفيظ والتلقين وليس إعمال العقل والمنطق، فالدين نفسه لا يمكن تدريسه التدريس الصحيح إلا بالحجة والبرهان أي بالعقل والمنطق، لقد انتشر أسلوب التلقين والحفظ على مدى السنوات من الكتاتيب إلى المدارس ويكاد يطغى أيضا على

التعليم بالجامعات، وآن الأوان أن نتحرر منه لننطلق إلى آفاق التقدم الذى نتطلع إليه، لا أن نكرسه عن طريق الرجوع إلى نظام الكتاتيب، وحسنا فعل الرئيس عبدالفتاح السيسي بأن وجه بضرورة الدراسة الدقيقة لمبادرة عودة الكتاتيب، وأرجو أن تشمل تلك الدراسة التى وصفها الرئيس بالدقيقة الاعتبارات السالفة الذكر حتى لا نتصور أننا نتقدم بالتعليم، بينما نحن نتخلف به قرونا إلى الوراء. (١)

ومما جاء في الرد عليه وعلى كل من يسعى لهدم التعاليم والقيم والأخلاق الدينية :إن الكتاتيب جمع الكُتّاب وهو مكان لتعليم الأطفال قواعد القراءة والكتابة والخط وحفظ القرآن الكريم ومبادئ الدين والاحاديث النبوية والتربية على المبادئ والأخلاق الحميدة، وتعود نشأة الكُتّاب عند المسلمين منذ العهود الأولى للإسلام، وتم انتشاره مع الإسلام في مختلف البلدان حيث كان المركز الرئيس في العالم الإسلامي لتعليم الصغار، فلا احد ينكر دور الكتاب كمؤسسة تعليمية تخرج فيها الكثير من الأجيال الذين حفظوا القرآن الكريم وتربوا على المبادئ والأخلاق الحميدة، كما كانت الكتاتيب هي الوسيلة أو الأداة التعليمية التي ينتقل بها العلم الديني والقرآن الكريم من جيل إلى جيل عبر عصور طويلة، وكانت الكتاتيب نظامًا تعليميًا مجانيًا مما جعلها لا تحمل الأسرة أي أعباء مالية، ومن المتعارف عليه أن كثيراً من اللغات اختفت مع مرور الأيام أما اللغة العربية فقد استطاعت أن تقاوم الموت والفناء والانقراض بفضل القرآن الكريم الذي حافظ على قواعد اللغة العربية، وكانت الوسيلة المستخدمة عبر العصور الإسلامية لتعلم القرآن الكريم والحفاظ على اللغة العربية وأخلاقيات التعامل بين أفراد المجتمع هي الكتاتيب التي تمثل الأساس القوى لبناء الإنسان أخلاقيا وفكريا واجتماعيا .

(١)- جريدة الأهرام مقال الكاتب محمد سلماوي عدد ٥٠٤٥٠بتاريخ ٢١ يناير ٢٠٢٥.

من المبادرات العظيمة في مصر مبادرة عودة الكتاتيب.

مبادرة «عودة الكتاتيب» تأتى ضمن المبادرة الرئاسية «بداية جديدة لبناء الإنسان»، لاستعادة الدور الريادي للكتاتيب في تنشئة الأجيال على قيم القرآن الكريم ومبادئ الإسلام السمحة وعلى أسس راسخة من الأخلاق الرفيعة، والفهم العميق لمعاني الدين، والانتماء الصادق للوطن لمواجهة الفكر المتطرف ولإحياء اللغة العربية الصحيحة لدى الأجيال الجديدة باعتبارها لغة القرآن الكريم وحصن الهوية القومى مع الاعتماد على الوسائل التكنولوجية الحديثة في تطوير منهجية الكتاتيب لتتماشى مع احتياجات العصر ومتطلباته خصوصاً في ظل تراجع اللغة العربية الفصحى أمام اللغات الأجنبية من جهة وأمام اللهجات العامية المصرية الشعبية الدارجة، حيث ينتج عن هذا الازدواج اللغوي وجود اختلافات نحوية كبيرة في الكتابة بين لغة الفصحى الراقية واللهجة الشعبية الذى اعتبر الفصحى نمطاً راقياً يُكتب به الأدب والأحاديث الرسمية، والعامية نمطاً متدنياً يتحدث به الأكثرية في الشارع، وستظل مصر حامية للدين وللعروبة والأوطان وقبلة للوافدين من اجل الدراسة والتعليم بأزهرها الشريف وعلمائه الكبار.

دور الأوقاف الإسلامية في النهوض بالكتاتيب.

الكتاتيب هي المؤسسة التي تعنى بتعليم المبتدئين من الصبيان القرآن الكريم والقراءة والكتابة ومبادئ علوم الدين. ولما كان تعليم الأولاد يعد أمراً شرعياً وواجباً دينياً تقع مسؤولية القيام به على عاتق الآباء فلقد تولي أولياء الأمور والمحسنون أمر إنشاء الكتاتيب والإنفاق عليها وشارك في هذا الفضل المعلمون الذين كانوا يقومون بمهنة التدريس احتساباً، وخاصة في العهد الأول للإسلام. (١)

(١)- تاريخ المدارس الوقفية في المدينة المنورة، المؤلف: طارق بن عبد الله حجار، ٤٧٧، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: العدد ١٢٠ - السنة ٣٥ - ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣م.

ثم انتشرت الكتاتيب العامة الموقوفة بعد ذلك عبر العصور حتى أصبح الكتَّاب في بلاد ما وراء النهر يضم الأطفال اليتامى والفقراء والمساكين حتى أصبح كتَّاب الضحاك بن مزاحم عام ١٠٥ هـ يحتوي على أكثر من ثلاثة آلاف طفل. كما أصبحت بالشام كتاتيب موقوفة لتعليم أبناء المسلمين حول الجامع الأموي بدمشق. ثم تلا بعد ذلك الكتاتيب في مصر وفي عهد المماليك ثم الدولة العثمانية وخصوصاً الكتاتيب التي أقامتها في مكة المكرمة والمدينة المنورة، حتى جاء عهد الملك عبد العزيز فتم الاستغناء عنها بالمدارس النظامية المجانية. (١)

كانت الكتاتيب، وحلقات المساجد من الشعب لتربية الشعب المسلم، وكانت على صلة دائمة بالشعب، فلم تكون طبقة مهنية معزولة عن الشعب، بل بقيت تعالج دائما مشكلات المجتمع الإسلامي، وكان طلاب العلم المخلصون، نقادا لأخطاء الحكام والتجار، والأمراء وأصحاب المهن، ينصحونهم ولا يبالون في الله لومة لائم، وكانوا يشاركون الشعب أفراحه وآلامه (٢).

وقد بقي تعلم القرآن في الكتاتيب والمساجد، إلى عهد قريب، وسيلة لتعلم القراءة والكتابة، فكان الأطفال، قبل انتشار المدارس الحديثة، يتقنون قراءة القرآن، فيتعلمون القراءة على أسلوب الطريقة الجملية، أي أنهم يتقنون التعرف إلى صورة الكلمات المكتوبة مقترنة بألفاظها المنطوقة. وكان الأطفال، بعد هذه القراءة الأولى، يكتبون القسم الذي قرأوه، على ألواح خشبية، يحاكون رسمه في المصحف، وكلما كتبوا جزءا يناسب

(١)- تاريخ المدارس الوقفية في المدينة المنورة، المؤلف: طارق بن عبد الله حجار ،ص ٤٧٧.

(٢)-أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، المؤلف: عبد الرحمن النحلاوي الناشر: دار الفكر، ص ١٣٢، الطبعة: الخامسة والعشرون ١٤٢٨ هـ-٢٠٠٧م.

مقدرتهم، عادوا فأتقنوا تلاوته، ثم ينتقلون إلى غيره، وهكذا حتى يتموا جميع القرآن، ثم ينتقى منهم المتفوقون ليحفظوا القرآن على ظهر قلب، كما حدثني أهل العلم ممن أدركوا هذا العهد "كالشيخ ناصر حمد الراشد مدير تعليم البنات في المملكة العربية السعودية". (١)

تصويبُ المنهج التعليميّ في الكتاتيب.

لقد كان للكتاتيب القرآنيّة أعظمُ الأثرِ في التاريخ الإسلاميّ، وما زالت إلى اليوم تحافظ على لغة أبنائنا في ظلّ الإهمال الحكوميّ للغة العربيّة والاهتمام المبالغ فيه باللغات الأجنبيّة، وما زال لها الدورُ الأكبرُ في تعليم عامّة الناس مبادئَ الدين والوضوءِ والصلاةِ؛ إذ أهمَلَت الحكوماتُ العربيّةُ والإسلاميّة هذا الواجبَ، وكذلك الحال في كثير من الدول الإفريقيّة والآسيويّة فما زال الكُتَّاب هو الرابط الأهمّ بين الطفل المسلم ودينِهِ، ففيه يتعلّم الأطفالُ الوضوءَ والصلاة والحروف العربيّة وقراءَةَ القرآن وأركانَ الإيمان والإسلام، ولكنّ هذا لا يعني أبدًا أن نغفلَ عن العملِ على تصويبِ هذِهِ الكتاتيبِ ودفعِها للمزيدِ من العطاء ومن هذه النقاطِ التي تحتاجُ منّا عنايةً وتصويبًا.

أولاً: ممّا ينبغي إدراكُهُ؛ أنّ أهمّ دَوْرٍ للكتاتيبِ القرآنيّة هو ربطُ الطفل بالقرآن الكريم، وتربيتُهُ على الخُلُقِ والعملِ الصالحِ، والحفاظُ على اللغةِ العربيّة والهويّة الإسلاميّة في المجتمع، وهذا لا يتأتّى إلا بالرجوع إلى المنهج الذي سار عليه أصحابُ رسولِ الله -ﷺ-، فشيوخُ الكتاتيب هم أنفسهم عليهم أن يتّخذوا القرآن الكريم منهاج حياةٍ وعلينا أن نبذُلَ جُهدَنا في تعريف المعلّمين عِظَمَ الأمانة التي يحملونها، وأنّ حفظ القرآن ليس في حفظ حروفِه فقط، ولكن بالعمل والتخلّق به، قال العلّامة المغربيّ فريد الأنصاريّ رحمه الله: (إنّ الحفظ هو الذي مارسَهُ أصحابُ رسول الله -ﷺ-، حيث كانوا يتلقّون خمس آيات أو عشرًا فيدخلون

(١)- السابق، ص ١١٠.

في مكابدَةِ حقائقها الإيمانيّة ما شاء الله وإنّ الذي لا يُكابِدُ منزلة الإخلاص ولا يجاهد نفسه على حصنها المنيع، ولا يتخلّق بمقام توحيد الله في كلّ شيء رغبًا ورهبًا لا يُمكن أن يُعتبرَ حافظًا لسورة الإخلاص فلا بدّ للشيخِ من أن يكون مربّيًا قدوةً لطلابه، منتبهًا لأخلاقهم، وهنا يكون واجب المعلّم ألا يركّز على التحفيظ فقط، بل يجب أن يكون هدفه تكوين شخصيّة متّزنةٍ تجمعُ بين الحفظ وجماليّة السلوك.

ثانيًا: وممّا ينبغي الانتباه له هو عدم اللجوء إلى العقوبات العنيفة التي تنفّر الطلاب من حفظ القرآن، لأنّ القرآن ميسّرٌ من عند الله، فيجبُ التيسير والتسهيلُ في تحفيظه، قال تعالى: {ولقد يسّرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر} [١].

فينبغي بسطُ يدِ الرحمة للمتعلّمين -خاصّة الصغار منهم- وتشجيعُهم على قراءة القرآن وحفظه، ولا يقولنَّ إنسانٌ إنّ ابني سينسى ما قرأ وحفظ فما فائدةُ الاستدامةِ في هذه الكتاتيب؟ فإنّ الإنسانَ وإن كان يحفظ القرآن وينسى، فإنّ عليه أن يستمرّ لأنّ القرآن يشتغلُ في داخله من حيث لا يشعر، فمَعَ مرورِ الوقت سيطهّر قلبه ويهذّب سلوكه وإنّ أحقّ ما تُوهَبُ له الأعمارُ كتاب الله [٢].

فالشاهدُ من هذا المثلِ أنْ يُكرّسَ الإنسان حياتَهُ لكتابِ الله لا يكلّ ولا يملّ ولا ييأس، ليرضى الله عنه ويفتح عليه من أسرار القرآن الكريم، أو يأتيه أجلُهُ وهو على ذلك.

ثالثًا: كما يجب أن تضمّ الكتاتيب دائمًا جناحًا للبنات، للحرص على تخريج الفتاة القرآنيّة المتشبّعة بأخلاق القرآن الكريم، وإنّي لأعلم في بلادنا بلاد المغرب شيخًا جليلًا

(١)- سورة القمر الآية ١٧.

(٢)- هذه رسالات القرآن لفريد الانصاري تقديم عبد الناصر المقري ص ١٣ دار السلام للطباعة والنشر / الطبعة ١ / القاهرة.

كرّس حياته لتحفيظ البنات صغارًا وكبارًا منذ أربعين سنة في كُتّاب متواضعٍ جانبَ مسجدٍ، ولقد رأيته يتردّد على الكُتّاب صباحًا ومساءً كلّ يومٍ ولم يَشْكُ قطُّ كلَّ تلك السنين من تعبٍ أو بُعدِ الطريق، يدرّسهم بالألواح والمصاحف حيثُ يجلسُ الصبيان الصغار لأقلّ من عشر سنوات في الأمام والبنات والنساء في الخلف، ويحفِّظ المتميّزات منهنّ بعض المتون العلميّة بعد تمكنهنّ من القراءة والكتابة، وقد تخرّجت على يديه مئات الحافظات والمربِّيات الطاهرات.

رابعًا: يستحبّ للشيخ المعلّم أن يستخدم السبورة لشرح بعض قواعد التجويد، أو لشرح الآيات، مراعاة للفروق الفرديّة، ولا يتمّ الاقتصار على التلقين، ففي بالِ الطفل اليوم كثيرٌ ممّا يُشغِلُهُ ويحتاجُ إلى مزيدٍ من جذب اهتمامه والعناية به.

خامسًا: خلقُ جوٍّ من الراحة النفسيّة للطلاب بإشعارهم بالأمان وعدم ترهيبهم، وفي المقابل تحسيسهم بعظمة القرآن الكريم وعدم ترك المجال لهم للاستهانة بالحفظ أو بحرمة القرآن الكريم.

سادسًا: ربطُ شراكاتٍ مع الجمعيّات الإسلاميّة أو مع مؤسّسات الأوقافِ لتنظيمِ مسابقاتٍ وتحفيز الحافظين والحافظات وتكريم أصحاب الأخلاق الحسنة.

لذا يجب الاهتمام بكلّ الوسائل التي تُسهِمُ في نشر ثقافةِ حفظ كتاب الله تعالى بين الناس، ويبقى أهمّ شيءٍ في ذلك كلّه أن يحمل الشيخُ أو المعلّم رسالةً وهدفًا في تعليمه لكتاب الله تعالى، ويبتغي بذلك وجه الله مربّيًا طلابه على أخلاق القرآن.

ويبقى واجبُ القائمين على هذه الكتاتيب القرآنية كما يلي:

أن يُلحِقُوا بها البرامج التعليميّة التي تَحفَظُ الطلَّاب من أفكار الغلوّ والتشدّد التي ما زالت تتشبّثُ بالبقاء في المخيمات أو الداخل المحرّر؛ فإن من أهمّ الأخطار التي تهدّد

طلاب الكتاتيب اليوم التطرّف والغلوّ، ففي كتاتيب القرآن يتعلّم الطفل أوّل مبادئ الإسلام وفيها يتعلّق قلبُهُ بدينِه منتظرًا أن يشبّ ليخدمَهُ بكلِّ ما يستطيعُ.. وبينما هو في ريعانِ الصبا ككتلةٍ متوقّدةٍ؛ إذ به تحومُ حولَهُ شياطينُ التطرّف والإرهاب باذلةً جهدَها لتُغويَه وتستزلّ قدمَهُ وتستخدمَهُ في خدمة عقائدِها الفاسدةِ وأجندَتِها الآثمة، وإنّ القائمينَ على هذه الكتاتيبِ مطالبونَ بوضعِ برنامجٍ تعليميّ وتربويّ للأطفال واليافعين يشرحُ الإسلام ويُبيّن مقاصدَه ويتضمّن بعضَ علومه بما يتناسب مع التركيبة العقليّة للطفل بما يحميه من الانزلاقِ في طرق التطرّف والتكفير، أوحتى التميُّع والنفاق والحداثة... عن إبراهيم التيميّ، قال: خلا عمر ذات يوم، فجعل يحدّث نفسَهُ: كيف تختلفُ هذه الأمة ونبيّها واحدٌ؟! فأرسل إلى ابن عباس فقال: كيف تختلف هذه الأمة ونبيّها واحدٌ، وقبلتُها واحدةٌ؟! فقال ابن عباس: يا أمير المؤمنين! إنّا أُنزِلَ القرآنُ علينا فقرأناه، وعلِمنا فيمَ نزل، وإنّه سيكونُ بعدَنا أقوامٌ يقرؤونَ القرآن ولا يدرونَ فيمَ نَزَلَ، فيكونُ لهم فيه رأيٌ، فإذا كان لهم فيه رأيٌ اختلفوا، واقتتلوا..)[1]

(١)- رواه البيهقي في شعب الإيمان رقم (٢٠٩٢) وابن سلام في فضائل القرآن رقم (٧٦).

المبحث الثاني

دور الكتاتيب في مواجهة التغريب ومظاهره

يُعدّ "التغريب" من المفاهيم المحورية في الخطاب الفكري والثقافي العربي المعاصر، نظرًا لما ينطوي عليه من إشكالات متصلة بالهوية، والحداثة، والعلاقة مع الآخر، خاصة الغرب. وهو مصطلح معقد من حيث المضمون، ومفتوح على العديد من التأويلات، بحسب السياق الذي يُستخدم فيه، سواء أكان اجتماعيًا، أو فكريًا، أو سياسيًا. لذا يتقاطع مفهوم التغريب مع قضايا التبعية والتقليد والانبهار والاغتراب الثقافي والقطيعة مع الموروث الحضاري.

ومن الملاحظ أن تعاريف التغريب تقتصر على إبراز الجانب الحِسّي، والذي يتجلى في النفي والإبعاد القسْري عن الوطن.والحق أن ثمة جانبًا معنويًا للتغريب يفوق الجانب السابق في الخُطورة.والواقعُ أن دلالة التغريب تتغير بانتقالنا من الإطار اللغوي إلى الأطر الثقافية والسياسية والاجتماعية، وتتشعَّب معانيه مع توالي الأيام. فالتغريب، كما ندركُه في الوقت الحاضر، ليس هو التغريب الذي كان يَعرفه الجوهري أو ابن منظور ويمكن تقسيم هذا المبحث إلى خمسة مطالب:

المطلب الأول تعريف التغريب ومظاهره.

التغريب مصدر غرَّبَ، والتغريب في لغة العرب مأخوذ من غرَبَ الشيء: إذا توارى وغاب عن الأنظار، يقال غَربَتِ الشمس إذا توارت عن الأنظار، وهذه المادة تطلق على الشيء البعيد ومنه سُمِي الغريبُ غريبًا، لأنه بعيد عن أهله، وقد غاب عن وطنه وبلده ومسكنه " .

والتَّغريب: عقوبة شرعية تقع في الحدود وفي التعزيزات. ويراد به النفي والإبعاد عن

البلد الذي وقعت الجناية فيه، ومن أمثلته نفي الزاني البكر بعد جلده، وإبعاده عن البلد التي زنى فيها إلى بلد آخر، ومن شواهده عَنْ رَسُولِ اللهِ -ﷺ-: " أَنَّهُ أَمَرَ فِيمَنْ زَنَى، وَلَمْ يُحْصَنْ بِجَلْدِ مِائَةٍ، وَتَغْرِيبِ عَامٍ [١]كما يقال: أغربته وغَرَبْتُه تغريبًا إذا نحيته وأبعدته، والغَرِيبُ: الرجل ليس من القوم ولا من البلد والغُرْبَةُ: البُعْدُ عَن الوَطَنِ. والغَرْبُ: الذَّهابُ والتَّنَحِّي عَنِ النّاسِ. ومِنْ مَعانِي التَّغرِيبِ أيضًا: التَّنْحِيَةُ، والعَزْلُ، والطَّرْدُ، والتَّرْحِيلُ.وانطلاقًا من التعريفات المُعجمية لكلمة تغريب يمكن القول: بأن التغريب:يستعمل عند علماء اللغة بمعنى الإغْراب والتغريب ومعناهما واحد، وهو التنْحية والإقصاء من الوطن، وقد ورد لفظ «التغريب» في كلام النبي --ﷺ- من خلال الحديث السابق بالمعنى الذي يَقصده علماءُ اللغة. والملاحَظُ أن هذا المعنى شهد تطورًا واضحًا مع مرور الأيام، ودخل ميادين حسّاسة وخطيرة في وقتنا الحاضر بخاصةٍ.

التغريب اصطلاحًا.

التغريب هو حركة موجهة لصبغ الثقافة الإسلامية بصبغة غريبة، وإخراجها عن طابعها الإسلامي الخالص، واحتوائها على النحو الذي يجعلها تفقد ذاتيتها وكيانها وتذوب فيما يسمى بـ "الثقافة العالمية" أو الفكر الأممي [٢]

وهو خَلْقُ عقليةٍ تعتمد على الفكر الغربي لتُحاكِمُ من خلاله الفكرَ الإسلامي، والمجتمع الإسلامي؛ بهدف تسويد الحضارة الغربية على حضارات الأمم، ولا سيما الحضارة الإسلامية. ويُطلق التغريب في الاصطلاح الثقافي والفكري المعاصر، غالبًا على حالات التعلق والانبهار والإعجاب والتقليد والمحاكاة للثقافة الغربية والأخْذ بالقيم

(١)شرح زاد المستنقع – محمد بن محمد المختار الشنقيطي – ج ٢ – باب حد الزنا – ص ٥٣ .

(٢)التغريب والتحديث في العالم العربي: جلال أمين– ص ٣٧ – دار الشروق– القاهرة – ٢٠٠٦.

والنُّظم وأساليب الحياة الغربية؛ بحيث يصبح الفرد أو الجماعة أو المجتمع المسلم الذي له هذا الموقفُ أو الاتجاه غريبًا في مُيوله وعواطفه وعاداته وأساليب حياته وذوقه العام وتوجهاته في الحياة، يَنظر إلى الثقافة الغربية وما تشتمل عليه من قِيم ونُظم ونظريات وأساليب حياة نظرةَ إعجابٍ وإكبار.

التغريب ومظاهره في المجتمعات الإسلامية.

التغريب هو عملية تبني المجتمعات الإسلامية لمظاهر من الثقافة الغربية، سواء في القيم أو السلوك أو أنماط التفكير، بشكل يؤدي إلى تهميش الهوية الإسلامية. ويتجلى ذلك في اللغة، واللباس، والمناهج التعليمية، والنظم القانونية، بل وحتى في أنماط الحياة اليومية.

وقد حذر العديد من المفكرين الإسلاميين من خطر التغريب، ومنهم مالك بن نبي الذي رأى أن الاستعمار الثقافي أخطر من الاستعمار العسكري، لأن الأول "يقتل روح الأمة ويشل حركتها الحضارية". [١]

الكتاتيب خط دفاع ضد التغريب الثقافي.

يشير مفهوم التغريب إلى عمليات التأثير الثقافي الغربي على المجتمعات الإسلامية، خاصة في مجالات التعليم واللغة والسلوكيات الاجتماعية. وقد ظهر هذا التأثير بوضوح في المناهج التعليمية الحديثة، التي أدخلت مضامين وأفكارًا بعيدة عن السياق الثقافي الإسلامي. وهنا ظهرت الكتاتيب كخط دفاع أول، لأنها مؤسسة تعليمية ذات مرجعية دينية، تعتمد على مصادر المعرفة الإسلامية الأصيلة، مما جعلها مركزًا للحفاظ على الهوية الدينية والثقافية. [٢]

(١)- شروط النهضة، مالك بن نبي، طبعة دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٢ص ٦٧ .

(٢)- التعليم الديني والتغريب الثقافي". منى الهواري. ص ١١٣ ا مجلة الفكر التربوي الإسلامي، ع (١٢)، ٢٠١٦.

أثبتت الدراسات الميدانية أن الأطفال الذين تلقوا تعليمهم الأولي في الكتاتيب يكون لديهم وعي ديني ولغوي أعلى من غيرهم، ما يمنحهم مناعة فكرية ضد موجات التغريب [١]

الكتاتيب حاضنة للهوية الإسلامية في مواجهة التغريب.

تسهم الكتاتيب القرآنية في تحصين الأطفال من مظاهر التغريب منذ سنوات التكوين الأولى، من خلال: غرس العقيدة الإسلامية حين يتعلم الطفل في الكتّاب أركان الإيمان، مما يجعله قادرًا على التمييز بين القيم الإسلامية وغيرها من القيم الوافدة وترسيخ فهم اللغة العربية التي تُعد وعاءً للثقافة الإسلامية، إذ يتم تحفيظ القرآن الكريم بلغة فصيحة، مما يعمق الصلة باللغة والهوية وتنمية الانتماء الحضاري عبر ربط الطفل بتاريخ الإسلام وسيرة النبي -ﷺ-، وتعليمه الأخلاق الإسلامية كالأمانة والصدق والاحترام. وقد بين الدكتور عبد العزيز التويجري أن "الكتاتيب تشكل خط الدفاع الأول عن هوية الأمة في وجه موجات العولمة الثقافية". [٢]

مظاهر مقاومة الكتاتيب للتغريب.

لم تقف الكتاتيب عند مجرد التعليم القرآني واللغوي، بل تعدت ذلك إلى تنمية روح المقاومة الفكرية لدى الناشئة. فالطفل الذي يتعلم في الكُتَّاب يجد نفسه منذ نعومة أظفاره مندمجًا في بيئة تقدس العلم الديني وتحترم العلماء، مما يغرس في نفسه شعورًا بالانتماء إلى حضارة إسلامية لها قيمها الخاصة ومفاهيمها المتميزة عن الغرب المتغطرس الذي حاول

(١)-اللغة العربية في الكتاتيب المصرية". مجلة الدراسات اللغوية، ع (٥)، صـ ٨٥-٩٢. ٢٠١٩.

(٢)- الثقافة الإسلامية في مواجهة التغريب، عبد العزيز التويجري، المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم، ٢٠١٥م.

تسـويق أنماط ثقافية دخيلة. [١] ومن أبرز مظاهر مقاومة الكتاتيب للتغريب، الحفاظ على مظاهر الحياة الإسـلامية التقليدية، كاللباس، وآداب السـلوك، وأسـلوب الحياة اليومية، في مقابل محاولات الاسـتعمار فرض نمط الحياة الغربي، الذي كان يتجلى في أنماط اللباس، والاحتفـالات، وحتى في طرق التفكير والقيم الاجتمـاعي. [٢] لقـد كـانـت الكتـاتيـب تعلم الأطفال معاني العفة والحشـمة والوقار، وترسـخ فيهم أهمية صـلاة الجماعة وصـلة الرحم واحترام الكبير، وهي كلها قيم مسـتهدفة من قبل مشـروعات التغريب الثقافي. وقد اعترف كثير من الرحالة والمستشرقين الذين زاروا البلاد الإسلامية بأهمية الكتاتيب في حفظ الثقافة الإسلامية. فقد وصف المستشرق الفرنسي "لويس ماسينيون" الكتاتيب بأنها "مراكز لإنتاج المسلم الكامل المؤمن بدينه، المعتز بلغته وتاريخه". [٣]

وهو اعتراف يكشـف عن مدى خشية الغرب من الدور الثقافي العميق الذي كانت تقوم به هذه المؤسسات البسيطة في ظاهرها، القوية في تأثيرها.

أما عن الأسـاليب التي اسـتخدمتها الكتاتيب في مقاومة التغريب، فقد اعتمدت على طريقة التعليم التقليدي القائم على التكرار، والحفظ، والمجالسة الطويلة للنصوص الدينية، مما أدى إلى ترسـيخ النص القرآني والأحاديث النبوية والأمثال العربية في أذهان الأطفال رسـوخًا يصـعب زعزعته لاحقًا. [٤] وفي مقابل ذلك، اعتمد التعليم التغريبي على المناهج

(١)- الكتاتيب القرآنية ودورها التربوي، محمد بن ناصر العبودي، ط الرياض: مكتبة العبيكان، ٢٠٠٥م.

(٢)- الجذور التاريخية للتغريب في العالم الإسـلامي، عبد العزيز الدوري، ط بيروت: دار الطليعة، ١٩٨٢م، ص٨٧.

(٣)- اللغة العربية والتغريب الثقافي، عبد القادر بوعزة الرباط: دار السلام، ٢٠١٠م، ص٤٣.

(٤)- حسين مؤنس، موسوعة التربية الإسلامية، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٤م، ج١، ص٢٢٣.

الوضعية المفصولة عن الدين، مع الاعتماد على اللغات الأجنبية، مما جعل الكتاتيب تمثل جبهة ثقافية مضادة قوية.

في مصر على سبيل المثال، شكلت الكتاتيب جزءًا من شبكة واسعة من مؤسسات التعليم الديني، التي كانت تدور في فلك الأزهر الشريف، وكانت تسهم بشكل غير مباشر في تعزيز مكانة الأزهر كمركز للمرجعية الإسلامية المستقلة عن التوجيهات الغربية. (١)

وقد أدى هذا التكامل بين الكتاتيب والأزهر إلى تكوين قاعدة شعبية واسعة من المتعلمين تعليمًا دينيًا تقليديًا، مما حدّ من نجاح مشاريع التغريب التعليمي الذي سعت إليه سلطات الاحتلال الإنجليزي. وفي الجزائر، كانت الكتاتيب تلعب دورًا أكثر بطولية، حيث كانت الزوايا الصوفية تحتضن الكتاتيب وتقوم بدور مزدوج: التعليم الديني والتحريض الوطني ضد الاستعمار الفرنسي. وقد أدرك الفرنسيون خطورة هذا الدور، فسعوا إلى إغلاق الكتاتيب أو إحلال مدارس فرنسية مكانها (٢).

ورغم ذلك، استمر التعليم في الكتاتيب سرًا، وكان كثير من أبطال المقاومة الجزائرية قد تعلموا في الكتاتيب وتربوا على قيم العزة والكرامة والجهاد. وفي المغرب، اتسمت الكتاتيب بالمرونة والقدرة على التكيف مع التغيرات، فبينما أدخل المستعمر الفرنسي نظام التعليم الفرنسي في الحواضر الكبرى، ظلت الكتاتيب مزدهرة في القرى والمناطق الجبلية، تقوم بدورها في حفظ القرآن ونشر الثقافة الإسلامية العربية. وقد لعب علماء القرويين

(١)- جمال الدين الأفغاني، التعليم الإسلامي ومواجهة التغريب، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٩٨م، ص٦٦.

(٢)- المرجع نفسه ص ٧٠.

والزوايا الدينية دورًا محوريًا في دعم الكتاتيب وتحصين المجتمع ضد محاولات التغريب[١]

وفي بلاد الشام، كانت الكتاتيب منتشرة في المدن والقرى، ومرتبطة بالمساجد والزوايا الدينية، وقد خرجت من هذه الكتاتيب أجيال من العلماء الذين تصدوا للفكر الغربي الغازي، سواء في المجال الديني أو الفكري أو السياسي. وكانت الكتاتيب تلعب دورًا تكميليًا مع حلقات العلم التي كانت تُعقد في المساجد الكبرى مثل الجامع الأموي في دمشق، وجامع الزيتونة في تونس.[٢]

وقد تعرضت الكتاتيب لمحاولات عديدة من التشويه من قبل دعاة التغريب، الذين صوروها كمؤسسات بدائية جامدة لا تواكب روح العصر. إلا أن الواقع أثبت أن الكتاتيب كانت مؤسسات فعالة للغاية في غرس قيم الثبات العقائدي، والانتماء الحضاري، والاعتزاز بالذات الإسلامية، في وجه ثقافة الاستلاب والغزو الفكري.[٣]

إن الناظر إلى الأثر البعيد المدى للكتاتيب يدرك أن هذه المؤسسات البسيطة كانت تؤدي دورًا يفوق بكثير إمكانياتها المادية المتواضعة. فقد كانت تشكل وجدان الأمة المسلمة، وتعدها نفسيًا وثقافيًا لمقاومة محاولات المسخ والاستلاب، في وقت كانت فيه الحكومات الضعيفة عاجزة عن مواجهة موجات التغريب المتتابعة. وقد كان للأساليب التربوية التقليدية في الكتاتيب، مثل الحفظ الجماعي، والمنافسة على حفظ الأجزاء القرآنية، واستخدام القصص الديني والسير النبوية، أثر عميق في تكوين عقلية متشبعة بالقيم

(١)- عبد الرحمن الرافعي، تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٧م، ج٢، ص١١٢.

(٢)- محمد المختار السوسي، المعسول، الدار البيضاء: دار الثقافة، ١٩٨٤م، ج٧، ص٢١٥.

(٣)- عبد الفتاح أبو غدة، قيم تربوية مستخلصة من التربية النبوية للناشئة، دمشق: دار القلم، ١٩٩٨م، ص٣٤.

الإسلامية، مما وفر حصانة طبيعية ضد الثقافات الوافدة تحديات الكتاتيب في العصر الحديث ودورها في مقاومة التغريب على الرغم من الدور التاريخي البارز الذي لعبته الكتاتيب في مقاومة التغريب، إلا أنها في العصر الحديث واجهت تحديات خطيرة كادت أن تعصف بوجودها وأثرها. فقد أدى التحول الاجتماعي والاقتصادي، بالإضافة إلى حملات التغريب المكثفة، إلى تراجع الاهتمام بالكتاتيب التقليدية لصالح المدارس الحديثة التي كانت تقدم تعليمًا عصريًا بمناهج مستوردة. (١)

ورغم هذه التحديات، فإن الحاجة إلى الكتاتيب أو ما يشبهها لم تنتفِ، بل ازدادت إلحاحًا مع تصاعد موجات التغريب المعاصر، التي أصبحت أكثر خطورة وأشد فتكًا بوسائلها التقنية والإعلامية الحديثة. فالتغريب المعاصر لم يعد يعتمد فقط على التعليم الرسمي، بل أصبح يتسلل عبر الإعلام، والفن، وشبكات التواصل الاجتماعي، مما يستدعي وجود مؤسسات تربوية رصينة تزرع القيم الإسلامية في نفوس الأطفال منذ الصغر (٢).

وفي هذا السياق، برزت دعوات لإعادة إحياء الكتاتيب بروح عصرية، مع المحافظة على رسالتها الأصلية. فبدلًا من الاقتصار على تحفيظ القرآن الكريم بطريقة تقليدية، دعت بعض الجهات التربوية إلى تطوير طرق التعليم داخل الكتاتيب باستخدام الوسائل الحديثة، مثل العروض البصرية، والوسائط السمعية، مع الإبقاء على الهدف الأساسي وهو غرس العقيدة الإسلامية والهوية الثقافية (٣).

(١)- زكي مبارك، التغريب في مصر، القاهرة: دار الهلال، ١٩٣١م، ص١١٧.

(٢)- عبد العظيم رمضان، التعليم في مصر في عصر الاحتلال البريطاني، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣م، ص٢٢١.

(٣)- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨م، ج٣، ص٩٨.

كما أن كثيرًا من الدول الإسلامية بدأت تعيد الاعتبار للكتاتيب ضمن منظومة التعليم الديني الرسمي. ففي المغرب، على سبيل المثال، أنشأت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية مشروع "الكتاتيب القرآنية النموذجية"، الذي يهدف إلى الجمع بين التعليم التقليدي والأساليب التربوية الحديثة[24]. وفي السعودية، تم ربط الحلقات القرآنية بالمساجد برؤية تربوية جديدة تجمع بين التعليم الديني وتنمية المهارات الاجتماعية والقيادية لدى الأطفال (١).

من جهة أخرى، فإن استثمار الكتاتيب كأداة لمواجهة التغريب يستلزم العناية بعدة أمور: أولها، إعداد معلمين أكفاء يجمعون بين التمكن العلمي في القرآن والعلوم الشرعية وبين القدرة التربوية المعاصرة؛ وثانيها، تطوير المناهج لتشمل مواد تهدف إلى بناء الهوية الإسلامية؛ وثالثها، ربط الطفل بالواقع المعاصر بطريقة شرعية تحفظه من الذوبان في ثقافات مغايرة (٢).

ولابد أن يُفهم أن مقاومة التغريب اليوم ليست مجرد تحفيظ للنصوص، بل هي معركة وعي وهوية. ولهذا فإن الكتاتيب الحديثة مطالبة بأن تربي أطفالها على الفهم الواعي للقرآن والسنة، وعلى إدراك معاني الانتماء للأمة الإسلامية، وعلى النقد الواعي للثقافات الوافدة بدلاً من الانبهار بها أو استيرادها بشكل مضلل. إن استمرارية الكتاتيب في أداء دورها التاريخي تتوقف على مدى قدرتها على التكيف مع التحولات الاجتماعية والثقافية، دون التفريط في جوهر رسالتها. فهي مطالبة بأن تكون مراكز تربية شاملة، تجمع بين التعليم

(١)- عبد الهادي التازي، التعليم الإسلامي في المغرب، الرباط: المطبعة الملكية، ١٩٦٢م، ص٢٠٥.

(٢)- حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٤م، ج٤، ص٢٧٨ .

القرآني، وغرس القيم الأخلاقية، وبناء الشخصية الإسلامية، وتنمية القدرات النقدية لدى الناشئة. وقد أظهرت التجارب الحديثة لبعض الكتاتيب المطورة أن الجمع بين الأصالة والمعاصرة ممكن، بل ومثمر للغاية. فمثلاً، بعض الكتاتيب في قطر والإمارات أدخلت تعليم مهارات التفكير الناقد، والمهارات الحياتية، إلى جانب تحفيظ القرآن الكريم، مما أوجد جيلاً أكثر رسوخًا في الدين وأكثر قدرة على التعامل مع تحديات العصر لذا يمكن القول إن الكتاتيب ليست مجرد مؤسسات تربوية تراثية، بل هي خط الدفاع الأول عن الهوية الإسلامية في مواجهة التغريب الثقافي والفكري. وكلما ازداد زخم التغريب، ازدادت الحاجة إلى الكتاتيب بصيغتها الأصيلة المتجددة، كمصانع للجيل المسلم القادر على حمل رسالته وسط عالم مضطرب.

المطلب الثاني: المناهج التعليمية والتربوية في الكتاتيب ودورها في مقاومة التغريب

تعتمد الكتاتيب في تدريسها على مناهج تقليدية لكنها فعالة، تركز على:

التحفيظ والتكرار: وهي طريقة تربوية فعالة لغرس القيم.

الربط بين المعرفة والسلوك: إذ لا يُدرّس الطفل شيئًا إلا ويُحث على تطبيقه في حياته اليومية.

المعلمين القدوة: حيث يكون الشيخ أو الفقيه نموذجًا حيًّا للمتعلم، وهو ما يُفقد في كثير من المدارس الحديثة التي غلبت عليها الطابع التكنولوجي الجاف. وتشير الدراسات التربوية إلى أن هذه الأساليب التقليدية تحقق نتائج مهمة في غرس المبادئ، حيث أوصى الباحث ناصر الزهراني في بحثه حول التعليم غير النظامي بـ "دعم الكتاتيب لما لها من دور فاعل في مواجهة الانسلاخ الثقافي". [١]

(١)- دور التعليم غير النظامي في تنمية القيم"، ناصر الزهراني، مجلة التربية الإسلامية، العدد ٤٧، ٢٠١٩)

الأثر التعليمي للكتاتيب.

أثر الكتاتيب في تمهيد الطريق لتأسيس المدارس النظامية الكبرى:

لعبت الكتاتيب دورًا أساسيًا في نشر التعليم في العالم الإسلامي، وأسهمت بشكل مباشر في تمهيد الطريق لتأسيس المدارس النظامية الكبرى، مثل بيت الحكمة في بغداد والمدارس النظامية التي نشأت في العصر العباسي. وكان للكتاتيب أثر كبير في إعداد النشء وتأهيلهم للالتحاق بالمؤسسات التعليمية العليا، مما أدى إلى ازدهار العلوم الإسلامية واللغوية والفلسفية:[١] ومن ذلك:

١- تأسيس قاعدة تعليمية قوية للعلوم الدينية والدنيوية.

كانت الكتاتيب أولى المؤسسات التعليمية التي غرزت حب التعلم في نفوس الأطفال، حيث تعلموا فيها مبادئ القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم. كما ساهمت في إعداد طلاب متمكنين لغويًا وشرعيًا، مما جعلهم مؤهلين للالتحاق بالمؤسسات التعليمية الكبرى لاحقًا. [٢]

كما أتاحت الفرصة لشرائح واسعة من المجتمع لتلقي العلم، مما أدى إلى الاهتمام بالتعليم وتطويره.

٢- دور الكتاتيب في نشر علوم اللغة والمنطق.

لم تقتصر الكتاتيب على تحفيظ القرآن الكريم فقط، بل كانت أيضًا مركزًا لنشر علوم اللغة العربية، النحو، الصرف، التجويد، والبلاغة، وهي العلوم التي أصبحت فيما بعد من

---

(١) أحمد شلبي، تاريخ التربية الإسلامية، بيروت: دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، ١٩٤٥.

(٢)انظر: الجبرتي (١٧٥٣-١٨٢٥) "عجائب الآثار في التراجم والأخبار": إشارات متعددة إلى دور الكتاتيب في تعليم الأطفال وتخريج العلماء.

أســاســيات التعليم في المدارس النظامية. كما وفرت الكتاتيب بيئة تعليمية مهدت لظهور المدارس الكبرى التي اعتمدت على هذه العلوم في تدريس مختلف الفروع العلمية والدينية.

٣- إعداد العلماء والمفكرين الذين أسهموا في تأسيس المدارس الكبرى.

مهدت الكتاتيب الطريق لبروز علماء بارزين في مجالات الفقه، التفسير، النحو، والمنطق، الذين ساهموا لاحقًا في تأسيس المدارس الكبرى مثل بيت الحكمة والمدارس النظامية.

كثير من العلماء الذين أسهموا في بناء بيت الحكمة بدأوا مسيرتهم العلمية في الكتاتيب، مما يثبت دورها في بناء الأساس العلمي للحضارة الإسلامية.

٤- الكتاتيب كحلقة وصل بين التعليم التقليدي والمؤسسات العلمية المتقدمة.

شكلت الكتاتيب المرحلة الأولى للتعليم المنهجي، حيث انتقل الطلاب بعدها إلى الحلقات العلمية في المساجد، ثم إلى المدارس النظامية المتخصصة.

كانت المدارس الكبرى مثل بيت الحكمة والمدارس النظامية امتدادًا طبيعيًا للكتاتيب، حيث تطورت من نظام التعليم الفردي إلى المؤسسات المنظمة ذات المناهج الشاملة.

٥- تطوير نظام التعليم الإسلامي ووضع أسس المدارس النظامية.

وفرت الكتاتيب نموذجًا أوليًا لنظام التعليم الإسلامي، حيث كان لها نظام واضح في التدريس يعتمد على المعلم والتلقين والاختبارات. وساهمت في وضع أساس نظام الوقف التعليمي، حيث كانت تُمول غالبًا من أوقاف المحسنين، وهو نفس النظام الذي استُخدم لاحقًا في المدارس النظامية الكبرى.

حفّزت الحكام والولاة على الاهتمام بالتعليم الرسمي، مما أدى إلى تأسيس المدارس

الكبرى التي أصبحت جزءًا من النظام التعليمي الإسلامي.

٦- تأثير الكتاتيب على بيت الحكمة والمدارس النظامية

إن بيت الحكمة في بغداد -تأسس في العصر العباسي- كان امتدادًا لنظام التعليم الذي بدأ في الكتاتيب، حيث تطور ليشمل الترجمة، الفلسفة، الرياضيات، الفلك، والعلوم الطبية. وكانت المدارس النظامية في العصر العباسي، مثل المدرسة النظامية في بغداد، قد اعتمدت على المنهجية التعليمية التي نشأت في الكتاتيب، مع توسيع نطاق العلوم التي يتم تدريسها. لقد شكلت الكتاتيب الحجر الأساس للتعليم الإسلامي، ومهدت الطريق لظهور المدارس النظامية الكبرى، مثل بيت الحكمة والمدارس النظامية العباسية، وذلك من خلال توفير قاعدة تعليمية قوية، ونشر علوم اللغة والمنطق، وإعداد العلماء والمفكرين، وتطوير نظام التعليم الإسلامي. ويمكن القول إن الكتاتيب كانت النواة التي انطلقت منها نهضة العلم والمعرفة في الحضارة الإسلامية. عن طريق نشر التعليم الأساسي في المجتمع حيث أدت الكتاتيب دورًا محوريًا في نشر التعليم الأساسي، حيث تعلم الأطفال فيها القراءة والكتابة والحساب والقرآن الكريم. وكانت متاحة لجميع الطبقات مما أتاح تعليمًا مبكرًا واسع النطاق. يقول الدكتور عبد الله عبد الدايم: "كانت الكتاتيب الوسيلة الأولى والأساسية لتعليم النشء، وهي التي مهدت لنشأة التعليم الرسمي في العالم الإسلامي." [١]

ومن أدوارها ترسيخ اللغة العربية والقرآن الكريم في الكتاتيب حفظًا وتجويدًا حيث كان الركيزة الأساسية، ومما ساهم في ترسيخ اللغة العربية الفصحى في المجتمع، وربطها بهوية الأمة.

(١)- تاريخ التربية عند المسلمين، عبد الله عبد الدايم، ص ٩٢ دار العلم للملايين، بيروت.

وأصبح من آثارها بناء قاعدة معرفية دينية ومجتمعية فكانت الكتاتيب تُعنى بتعليم الأدعية، والسنة النبوية، ومبادئ العبادات، كما أسهمت في تكوين خلفية دينية متينة لدى الأطفال، تؤهلهم لفهم الواجبات والحقوق في مجتمعهم.

الوظائف التربوية للكتاتيب من خلال التعليم.

١. تعليم القراءة والكتابة وتحفيظ القرآن الكريم.

كان أول ما يتعلمه الطفل في الكتاتيب هو حروف الهجاء، ثم يبدأ في تعلم كتابة الكلمات وقراءتها، وغالبًا ما كانت هذه المرحلة تتزامن مع تحفيظه أجزاء من القرآن وكان هذا التعليم يُعدّ المدخل الأساسي للمعارف الدينية والدنيوية على حد سواء.

٢. التربية الأخلاقية والإصلاح السلوكي.

أسهمت الكتاتيب في غرس القيم الإسلامية مثل الصدق، والأمانة، والطاعة، واحترام الكبير، والعمل الجاد، من خلال القدوة التي يمثلها الشيخ، والمحتوى الذي يتعلمه الطفل. وقد كان الطفل يتأثر بشخصية الشيخ كأنموذج للسلوك الصالح.

٣- التنشئة الاجتماعية والانضباط.

كانت الكتاتيب تُهيئ النشء للاندماج في المجتمع من خلال ترسيخ القيم الاجتماعية، وتعليم آداب الحوار والاحترام، ومراعاة النظام. وكانت البيئة التعليمية بسيطة، ولكنها صارمة في الانضباط والالتزام، مما كوّن لدى الطفل حس المسؤولية والالتزام.

٤ -الوقاية من الانحراف الفكري والسلوكي.

من خلال ما تغرسه الكتاتيب من وعي ديني وقيمي، كانت تمثل حصانة مبكرة ضد مظاهر التغريب والانحراف الأخلاقي والسلوكي. وقد أشار العديد من الباحثين إلى أن الكتاتيب كانت خط الدفاع الأول في حماية النشء من المؤثرات الثقافية الدخيلة. [١]

(١)- التعليم الديني غير النظامي في المجتمعات الإسلامية. مركز دراسات الفكر الإسلامي، ناصر الهاشمي ص ٤٥. (٢٠١٠).

الوظيفة التعليمية والتربوية للكتاتيب.

تمثلت المهمة التعليمية للكتاتيب في تعليم الطفل المسلم مبادئ الدين الإسلامي، وأساسيات اللغة العربية، والقراءة والكتابة، وغرس الانتماء الديني والثقافي منذ الصغر. وكانت المناهج بسيطة، ولكنها فعالة، تعتمد على تحفيظ القرآن الكريم بداية، ثم تعليم مبادئ اللغة وكان الطفل يبدأ من "اللوح" وينتقل تدريجيًا إلى الحفظ الكامل لأجزاء من القرآن مع مراعاة قواعد التهذيب والانضباط. (١)

ومن الناحية التربوية، ساهمت الكتاتيب في تشكيل شخصية الطفل في بيئة إيمانية أخلاقية منضبطة، حيث يتم التأكيد على القيم مثل احترام الكبير، وأداء الصلوات، والتواضع، والصدق والعمل، وهي قيم تُعد الحصن الأول أمام تسلل الثقافة الغربية الاستهلاكية أو الفردانية إلى عقول الأطفال (٢)

المطلب الثالث: دور الكتاتيب في مواجهة التأثير الثقافي وإحياء اللغة العربية.

مع تنامي مظاهر العولمة والتغريب، باتت المجتمعات الإسلامية تواجه تحديات خطيرة تهدد هويتها اللغوية والثقافية. في هذا السياق، تبرز الكتاتيب القرآنية كحصن تربوي وثقافي حافظ للأصالة، ومؤسسة تعليمية ساهمت في تعزيز اللغة العربية وبث القيم الأخلاقية والاجتماعية. يتناول هذا المبحث الدور المزدوج للكتاتيب في مواجهة التأثير الثقافي السلبي، وفي إحياء اللغة العربية وترسيخ الأخلاق الإسلامية في المجتمعات كما يلي:

(١)- التعليم الإسلامي وتحديات العولمة. حسن عبد الدايم، ص ٦٧ القاهرة: مكتبة الأنجلو. (٢٠٠٤).

(٢)- التنشئة الإسلامية في الكتاتيب، محمود الأنصاري، ص ١٤١ المجلة المصرية لعلم الاجتماع التربوي، ع (٧)، ٢٠١٢،

أولًا: الكتاتيب حارس للهوية الثقافية.

لم تكن الكتاتيب مجرد أماكن لتحفيظ القرآن الكريم، بل كانت أحد أعظم الوسائل في تعليم القراءة والكتابة ونشر العلوم اللغوية، مما ساهم في الحفاظ على الهوية العربية للأمة. وقد لعبت دورًا جوهريًا في ترسيخ اللغة العربية بين الأجيال المتعاقبة، وضمان استمراريتها كلغة علم وتعليم، مما جعلها حجر الأساس للحضارة الإسلامية من خلال:

١. الحفاظ على الهوية العربية عبر تعليم اللغة.

أسهمت الكتاتيب في تعليم النحو والصرف والإملاء، مما جعل اللغة العربية قوية ومتماسكة بين الناطقين بها، وكانت بمثابة المدرسة الأولى التي تلقى

الأطفال أساسيات اللغة، مما ساعد على انتقال اللغة العربية السليمة من جيل إلى آخر ومن خلال تدريس القرآن الكريم، تعلّم الطلاب قواعد التجويد والتلاوة الصحيحة، مما عزّز فهمهم للنصوص العربية.

٢. ربط اللغة العربية بالهوية الإسلامية.

ساعدت الكتاتيب في تعليم القرآن الكريم، والحديث النبوي، والسيرة، مما رسّخ ارتباط اللغة العربية بالدين الإسلامي، كونها لغة القرآن، أصبحت اللغة العربية رمزًا للهوية الإسلامية، وانتشار الكتاتيب ضمن مختلف البلاد الإسلامية ضمن استمرار هذه الهوية ومن خلال الكتاتيب، أصبح عامة الناس قادرين على قراءة وفهم النصوص الدينية، مما عزز ارتباطهم بلغتهم وهويتهم.

٣. توسيع نطاق التعليم وعدم اقتصاره على الحفظ.

لم يكن التحفيظ في الكتاتيب يعتمد على المشافهة فقط، بل كان الطلاب يكتبون

القرآن الكريم بأيديهم، مما مكّنهم من إتقان الكتابة العربية. [1]

ولقد استخدم المعلمون ألواح الكتابة والأحبار لتعليم الخط العربي، مما ساعد في انتشار الخط العربي وتطويره عبر العصور وأتاحت الكتاتيب فرص التعليم لجميع الفئات، وساهمت في نشر المعرفة اللغوية بين الرجال والنساء على حد سواء.

٤. الحفاظ على الفصحى في مواجهة اللغات الدخيلة.

مع اتساع الفتوحات الإسلامية ودخول شعوب غير عربية في الإسلام، لعبت الكتاتيب دورًا في منع اندثار العربية أمام اللغات المحلية وكانت وسيلة فعالة في مواجهة التأثيرات الأجنبية التي حاولت تغيير بنية اللغة، فساهمت في ترسيخ الفصحى كلغة رسمية وعلمية، كما ظلت الكتاتيب عبر العصور مركزًا لإعداد العلماء والفقهاء والشعراء الذين حافظوا على التراث اللغوي العربي.

٥. تأثير الكتاتيب في الحفاظ على الثقافة العربية.

لم يكن دور الكتاتيب مقتصرًا على تدريس اللغة فحسب، بل ساهمت في نقل الموروث الأدبي والشعري العربي عبر الأجيال وحفظت العديد من المتون والقصائد والنصوص النثرية التي شكلت جزءًا أساسيًا من التراث العربي كما خرّجت علماء ومؤرخين كانوا حريصين على تدوين تاريخ الأمة باللغة العربية، مما عزز مكانتها كلغة علم وثقافة. لقد أدت الكتاتيب دورًا أساسيًا في الحفاظ على الهوية العربية، وذلك من خلال ترسيخ اللغة الفصحى، وربط العربية بالإسلام، ومواجهة تأثير اللغات الأجنبية، ونقل التراث الثقافي. ويمكن القول إن الكتاتيب كانت الدرع الحامي للغة العربية عبر التاريخ، وأسهمت في حفظها ونشرها وضمان استمراريتها كلغة دين وعلم وأدب.

(١) مقدمة ابن خلدون: أهمية الكتاتيب في نشر المعرفة الدينية واللغوية.

وعلى العموم فإن التغريب له أثره الخطير على الهوية حيث شهدت المجتمعات الإسلامية، وخاصة في العصر الحديث، تغلغلًا ثقافيًا غربيًا عبر وسائل التعليم والإعلام، ما أثر سلبًا على اللغة العربية والقيم الأصيلة. ومن مظاهر هذا التأثير: استخدام اللغات الأجنبية في التعليم، وتبني أنماط سلوكية دخيلة على البيئة الإسلامية. كما الكتاتيب كانت أداة مقاومة ضد الاحتلال حيث أثبتت الكتاتيب فاعليتها في صد هذا التأثير من خلال: التركيز على تعليم القرآن الكريم باللغة العربية. والحفاظ على النطق السليم والألفاظ القرآنية. وترسيخ العقيدة والقيم الإسلامية في عقول الناشئة.

يقول د. محمد عمارة: "الكتاتيب الإسلامية كانت وما تزال حائط صد أمام محاولات طمس الهوية اللغوية والدينية للأمة" (١)

ثانيًا: دور الكتاتيب في إحياء اللغة العربية.

أثر الكتاتيب في التمكين للغة العربية: للكتاتيب أثر بارز في نشر علوم اللغة العربية، مثل النحو والصرف، للحفاظ على الفهم الصحيح للنصوص الدينية، كما لها أثر في التمكين للغة العربية بين غير الناطقين بها، وانتشار علوم اللغة للحفاظ على الفهم الصحيح للنصوص الدينية.

لعبت الكتاتيب دورًا أساسيًا في التمكين للغة العربية ونشر علومها، وذلك من خلال تعليم النشء القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم، الذي يعد المصدر الأول لسلامة اللغة العربية وفصاحتها. وقد أسهمت الكتاتيب في الحفاظ على الفهم الصحيح للنصوص الدينية، مما ساعد في حماية اللغة العربية من الاندثار أو التحريف. وفيما يلي أبرز جوانب هذا التأثير:

(١)- حصوننا مهددة من الداخل، محمد عمارة، ص ١١٤ دار الشروق، القاهرة.

١ - دور الكتاتيب في تعليم القراءة والكتابة ونشر اللغة العربية.

كانت الكتاتيب أول مدرسة لغوية يمر بها الطفل المسلم، حيث يتعلم فيها قراءة القرآن الكريم والكتابة باللغة العربية كما عززت انتشار اللغة العربية في المجتمعات الإسلامية، خاصة في المناطق التي لم تكن العربية لغتها الأم كذلك ساهمت في توحيد النطق الصحيح للحروف والكلمات، مما أدى إلى استمرارية اللغة العربية

٢ - الحفاظ على النحو والصرف لضبط الفهم الصحيح للغة العربية.

أسهمت الكتاتيب في تعليم قواعد النحو والصرف لضمان فهم النصوص الدينية بشكل سليم، مما حافظ على سلامة اللغة العربية من اللحن والتحريف وكان المعلمون يهتمون بتعليم الطلاب القواعد النحوية أثناء تلاوة القرآن، مثل حالات الرفع والنصب والجر، مما ساهم في ترسيخ الأسس اللغوية لديهم كما أصبح للكتاتيب دور في تخريج طلبة متمكنين من العربية، ما ساعد لاحقًا على نشوء المدارس المتخصصة في النحو والصرف.

٣- دور الكتاتيب في نشر علم التجويد وأثره على الفصاحة.

كانت دراسة أحكام التجويد في الكتاتيب من أهم وسائل الحفاظ على صحة نطق الحروف والكلمات العربية، مما أثر في انتشار الفصاحة اللغوية. - علم التجويد ساعد على إتقان مخارج الحروف وصفاتها، وهو ما انعكس إيجابيًا على استخدام العربية الفصيحة في الحياة اليومية كما أدى الالتزام بأحكام التلاوة إلى تقليل اللهجات المحلية المؤثرة على النطق مما عزز قوة اللغة العربية الفصحى.

٤ - التأثير في العلوم الإسلامية والشرعية.

كان فهم النصوص الدينية يعتمد على إتقان اللغة العربية، مما جعل الكتاتيب تلعب دورًا في إعداد طلبة العلم الشرعي القادرين على تفسير القرآن والسنة وفق أصول اللغة لذا

أصبحت الكتاتيب مصدرًا رئيسيًا لتخريج علماء في علوم التفسير، الحديث، والفقه، نظرًا لاعتماد هذه العلوم على اللغة العربية بشكل أساسي. حيث حفظت الكتاتيب اللغة العربية من الاندثار بفضل ارتباطها بالقرآن.

٥- نشر اللغة العربية بين غير الناطقين بها.

ساعدت الكتاتيب في نشر اللغة العربية في المناطق غير العربية، مثل بلاد فارس، الأندلس، والهند، حيث أصبح تعلم العربية مرتبطًا بتعلم القرآن وإدخال العربية إلى الشعوب غير العربية، مما أدى إلى انتشارها على نطاق واسع كلغة علم ودين مما يجعلها لغة مشتركة بين مختلف الشعوب الإسلامية. إن دور الكتاتيب لم يقتصر على تعليم القرآن الكريم فقط، بل امتد ليكون حجر الأساس في الحفاظ على اللغة العربية، حيث عززت نشر علوم النحو، الصرف، والتجويد، والبلاغة، مما ضمن استمرار فصاحة اللغة وفهم النصوص الدينية بشكل صحيح عبر الأجيال. وقد ساهمت هذه الجهود في جعل العربية لغة الدين والعلم والحضارة الإسلامية، وحافظت على مكانتها حتى اليوم.

لأن تعليم القرآن مدخل لإتقان العربية إذ هو مصدرها الأول وإن تعليم الأطفال في الكتاتيب يغرس فيهم النطق الصحيح والقراءة الفصيحة، مما يؤدي إلى حب اللغة وتقديرها.

٦ - دعم اللغة في البيئات العامية.

الكتاتيب كانت الوسيلة الوحيدة لنشر العربية في المجتمعات الريفية التي لا تستخدم الفصحى يوميًا، فشكّلت جسرًا بين العامة ولغة القرآن. ورد في الوسيط في تاريخ التعليم العربي الإسلامي أن:"الكتاتيب كانت البوابة الكبرى لنشر العربية في أوساط الناس البسطاء،

خاصة في الريف والمناطق المعزولة." [١]

إن اللغة العربية هي الحامل الأساسي للثقافة الإسلامية، وتعد من أوائل الضحايا في مواجهة التغريب الثقافي، الذي يسعى لفرض لغات أجنبية كلغة أولى في التعليم. وهنا يأتي دور الكتاتيب في تحصين اللغة العربية وتعزيز مكانتها في نفوس الأطفال، من خلال الحفظ والتكرار والممارسة اليومية للقراءة القرآنية والنصوص الدينية [٢]

وقد أشار باحثون إلى أن الكتاتيب تؤدي دورًا تكميليًا هامًا للمدارس، بل وتتفوق عليها أحيانًا في مجال تعليم النحو والصرف والتجويد، وهو ما يُسهم في تشكيل هوية لغوية متينة لدى الأطفال.

الكتاتيب مؤسسات تعليمية مستقلة.

تتمتع الكتاتيب بميزة فريدة وهي الاستقلالية عن المنظومة التعليمية الرسمية. فهي لا تتبع بشكل مباشر وزارة التربية والتعليم، بل تُدار غالبًا عبر مساجد أو جمعيات أهلية، ما يتيح لها حرية في اختيار المناهج وطريقة التعليم [٣]

وتتيح هذه الاستقلالية مرونة تربوية، وتُبعد الكتاتيب عن أي ضغوط سياسية قد تحمل طابعًا تغريبيا كما أن هذه المؤسسات تعتمد على دعم المجتمع المحلي، وتُدار بعقلية خدمة دينية أكثر منها تجارية، ما يجعلها متمسكة بالمنهج التقليدي الموروث، وتُسهم في نقل القيم المتجذرة عبر الأجيال.

---

(١)التعليم التقليدي في العالم الإسلامي، المجمع الفقهي، مكة المكرمة.)

(٢)-اللغة العربية في الكتاتيب المصرية". مجلة الدراسات اللغوية، ع (٥)، صـ ٩١. ٢٠١٩،

(٣)- لاستقلال التعليمي في المؤسسات غير الرسمية. عبد الرحمن الشاذلي، صـ ٥٢).

الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية. عبد الرحمن الشاذلي، ٢٠١٠، صـ ٥٢).

المطلب الرابع: التنشئة الاجتماعية داخل الكتاتيب ووظائفها التربوية والأخلاقية.

لا تقتصر الكتاتيب على التعليم المعرفي، بل تُعد أيضًا من مؤسسات التنشئة الاجتماعية الإسلامية. فهي تُشكل بيئة تعليمية تتميز بالاحترام والانضباط والروابط الأخلاقية. ويتعلم الطفل في الكُتّاب كيف يعيش في جماعة، ويُعامل الآخرين بأدب، ويُقدّر العلم والدين معًا [١] وهذا ما يُرسخ لديه نموذجًا سلوكيًا مغايرًا للنماذج الفردية التي قد يتعرض لها في وسائل الإعلام أو التعليم الرسمي.

تُعد الكتاتيب القرآنية من أعرق المؤسسات التعليمية في العالم الإسلامي، إذ كانت النواة الأولى التي انطلقت منها حركة التعليم قبل نشوء المدارس النظامية. والكتّاب هو مكان يُعلَّم فيه القرآن للأطفال منذ سن مبكرة، إضافة إلى مبادئ الكتابة والقراءة وبعض القيم الدينية والاجتماعية.

وقد أكد ابن خلدون في مقدمته على أهمية الكتاتيب، حيث قال: "تعليم الصبيان في المكتب مَطلَب ضروري للناس". فالكتّاب لم يكن مجرد مكان لتحفيظ القرآن، بل هو مؤسسة تربوية تغرس الانتماء الديني والثقافي في نفوس الناشئة منذ الطفولة. [٢]

الأبعاد الإصلاحية لدور الكتاتيب.

١. بناء الهوية الإسلامية:

كانت الكتاتيب تُنشئ الطفل على فهم مبادئ الإسلام منذ صغره، مما يُكسبه مناعة فكرية وسلوكية ضد التحديات الثقافية، ويُرسخ في نفسه الانتماء إلى دينه وهويته.

(١)- التنشئة الإسلامية في الكتاتيب". محمود الأنصاري ص ١٤٣المجلة المصرية لعلم الاجتماع التربوي، ع (٧)، ٢٠١٢،

(٢)- مقدمة ابن خلدون، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٥م

٢. تعزيز روح الانضباط والتفوق:

رغم بساطة الوسائل، فإن منظومة التعليم في الكتاتيب كانت قائمة على التكرار والمثابرة، مما عزز في نفوس الأطفال قيم الجد والاجتهاد. وكانت التحديات المتمثلة في الحفظ والمراجعة تصقل شخصية الطفل وتجعل منه قادرًا على ضبط نفسه.

٣. الإسهام في تقليص الأمية:

لعبت الكتاتيب دورًا كبيرًا في محاربة الأمية في المجتمعات الإسلامية، خاصة في البيئات الريفية والفقيرة، حيث كانت متاحة للجميع دون تمييز طبقي أو مادي، وهو ما جعلها أداة فعالة للإصلاح المجتمعي من خلال التعليم.

ومن الشواهد التاريخية على أهمية الكتاتيب، أن الخلفاء والعلماء الكبار التحقوا بها في طفولتهم، ومنهم الإمام الشافعي، الذي بدأ تعليمه في الكتّاب بمكة المكرمة، ثم انتقل لحفظ الحديث والفقه. كما أشار ابن خلدون في مقدمته إلى أن التعليم في الكتاتيب كان "مقدّمة ضرورية لتحصيل العلوم الشرعية"، وأنه "مبدأ التعليم ومركز انطلاقه" [١]

أثر الكتاتيب في التنشئة الاجتماعية.

تُعد عملية التنشئة الاجتماعية من أهم العمليات التي تساهم في بناء شخصية الفرد وتحديد دوره داخل المجتمع. ويُقصد بها نقل المعايير والقيم والسلوكيات التي يتبنّاها المجتمع إلى الأفراد منذ طفولتهم. وقد لعبت الكتاتيب هذا الدور بجدارة، فهي لم تكن مكانًا للتعليم فقط، بل كانت بيئة تربوية واجتماعية متكاملة ساهمت في تشكيل النسيج الأخلاقي والثقافي للمجتمع الإسلامي. وفي هذا المبحث نتناول بالتحليل مظاهر التنشئة الاجتماعية التي قدمتها الكتاتيب، ودورها في تحقيق التماسك المجتمعي.

(١)- مقدمة ابن خلدون، ص١١٥.

أولًا : مفهوم التنشئة الاجتماعية وموقع الكتاتيب منها.

تعريف التنشـئة الاجتماعية: هي العملية التي يكتسـب من خلالها الفرد المهارات والمعلومات والقيم التي تؤهله للتفاعل في مجتمعه وتشـمل هذه العملية التعليم، والتقليد، والمحاكاة، والمشـاركة الفعلية ؛ ولذا تُعد الكتاتيب منظومة تربوية اجتماعية حيث كانت تمثل أولى المؤسـسـات الاجتماعية التي يدخلها الطفل بعد أسـرته، فتكون بمثابة الامتداد الخارجي للبيت، ما يجعلها مركزًا مهمًا لتنمية الهوية الاجتماعية والتفاعل المجتمعي. يقول الدكتور مصـطفى فهمي: "الكتّاب هو أول ميدان اجتماعي يُلقَّن فيه الطفل القيم الاجتماعية بشكل تطبيقي."[١]

ثانيًا : التواصل الأسري والمجتمعي من خلال الكتاتيب.

تتضح معالم العلاقة التربوية بين الشيخ والأسرة حيث كان معلم الكُتّاب على اتصال دائم بأسـرة الطفل، فيتابع سـلوكه، ويقوّم اعوجاجه، ويُبلغ الوالدين بما يلاحظه، مما يخلق بيئة من التعاون التربوي تُعزز من عملية التنشـئة الاجتماعية بين الأسـر، حيث إن اجتماع الأطفال من مختلف البيئات والأسـر في كتُّاب واحد مما يفيد في تواصـل الأبناء والأسـر وتعارفها، وبما يسهم في تكوين علاقات مجتمعية متماسكة قائمة على الود والتعاون.

ثالثًا : تعليم القيم الجماعية والعمل بروح الفريق.

من خلال المشاركة في التعلم داخل الكتاتيب يتعاون الأطفال على الحفظ والمراجعة، ويتبادلون الألواح ويصححون لبعضهم، مما يعزز روح الجماعة والعمل التشاركي وتحمل المسؤولية الفردية والجماعية وذلك من خلال أدوار داخل الكُتّاب (كالمسؤول عن النظافة، أو مراقبة الصـف)، يتعلم الأطفال تحمل المسـؤولية ضـمن جماعة، وهي قيمة أسـاسـية في

(١)علم النفس الاجتماعي، مصطفى فهمي، ص ١٤٤ دار الفكر العربي.

التنشئة الاجتماعية.

جاء في إحياء علوم الدين للغزالي: "من مقاصد التعليم تنمية روح الجماعة والطاعة والانقياد لما فيه صلاح الأمة." (١)

رابعًا: ترسيخ الانتماء الديني والثقافي.

من أعظم أدوار الكتاتيب أنها تقوم بتعزيز الهوية الإسلامية من خلال حفظ القرآن، وتعلم الأذكار والسلوكيات اليومية (كالسلام، وآداب الكلام)، مما يُكوّن لدى الطفل شعورًا بالانتماء للدين والمجتمع الإسلامي وبما يرسخ بحماية الحفظة من التغريب الثقافي خاصة في ظل تحديات العولمة والتأثيرات الغربية، حافظت الكتاتيب على البعد الثقافي والديني، ووفّرت بيئة تقليدية راسخة تُحصّن الطفل ضد الانحراف الثقافي والسلوكي.

خامسًا: نشر ثقافة الاحترام والتسامح.

من خلال التفاعل اليومي في الكتّاب، يتعلم الأطفال احترام الآخر وتقبل التنوع، خاصة أن الكتاتيب لا تميز بين الأطفال في التعليم، سواء في الطبقة أو اللون أو النسب بما يعكس روح التسامح وضبط النفس وإن كان ثمة خطأ فإن هناك عقوبات تأديبية بسيطة لمن يخطئ، ولكن المعلم كان يركز على النصح والموعظة، مما يُربّي الطفل على التسامح وطلب الصفح وضبط النفس في حالات الغضب.

يذكر عبد الفتاح أبو غدة في كتابه صفحات من صبر العلماء أن الصبر والتسامح خُلقان كانا يتعلمان من خلال مواقف الحياة التعليمية في الكتاتيب. (٢)

---

(١)إحياء علوم الدين، الغزالي، إحياء علوم الدين، ج١، ص: ٥٣ دار المعرفة، بيروت

(٢)صفحات من صبر العلماء، عبد الفتاح ابو غدة ص ٧٧ دار البشائر الإسلامية.، وينظر، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي لعلى الوردي، دار الوراق.

=

سادسًا: دور البيئة التعليمية في التنشئة الاجتماعية.

إن البساطة والاحترام مما توفره الكتاتيب في بيئة بسيطة وخالية من الترف، ومما يُربي في الطفل القناعة والابتعاد عن الأنانية، كما تُعزز روح الاحترام والتواضع من خلال التعامل مع الشيخ والأقران وهذا يعزز الضبط الجماعي عبر وجود قواعد للسلوك داخل الكتّاب يُشعر الطفل بالمسؤولية، ويعزز التزامه بالقيم الاجتماعية من خلال الرقابة الذاتية والجماعية.

سابعًا: العادات المجتمعية المرتبطة بالكتاتيب.

كان يُقام احتفال يُكرم فيه الطفل بعد إتمامه لحفظ القرآن، وهذا الاحتفال له أبعاد اجتماعية، حيث يجتمع الأهل والجيران، ويُكرّس تقدير المجتمع للعلم وأهله، ومن تلك العادات بعض المظاهر الاجتماعية في تقديم الزاد والصدقات حين كانت بعض الأسر تُرسل الطعام للشيخ وأطفاله، وتتبرع للفقراء الذين يتعلمون في الكتّاب، مما يخلق روابط اجتماعية قائمة على التكافل.

ثامنًا: مواجهة الانحراف السلوكي والتنشئة القيمية.

كان الشيخ يوجه الأطفال إذا صدرت عنهم تصرفات غير لائقة، فيُصحح سلوكهم بالنصح أو التأديب التربوي، فينمو الطفل وهو يفرّق بين الصواب والخطأ وهذا هو التوجيه التربوي المباشر، كما كان الشيخ يلتزم بالسلوك الحسن، فيصير قدوة حية في الصدق والانضباط والحياء، وهي من أساليب التنشئة غير المباشرة التي تُغرس في الطفل بلا وعظ مباشر.

ودراسة في طبيعة المجتمع العراقي لعبد الله عبد الدايم، تاريخ التربية عند المسلمين، دار العلم للملايين

مثلما كانت الكتاتيب مدارس للعلم، فقد كانت مدارس للحياة الاجتماعية. ومن خلال تفاعل الطفل مع بيئة الكُتّاب، وأسرته، ومعلمه، وزملائه، تشكّلت لديه منظومة من القيم والسلوكيات التي تؤهله ليكون فردًا صالحًا فاعلًا في المجتمع. وقد أثبتت هذه المؤسسة قدرتها على التنشئة المتكاملة، وهو ما يوجب النظر في سُبل إحيائها وتطويرها لمواجهة تحديات العصر.

الأثر الأخلاقي والاجتماعي للكتاتيب.

الطفل في الكُتّاب لا يحفظ القرآن فحسب، بل يتشرب معاني القرآن وأخلاقه، مثل: الصدق. والأمانة. وبر الوالدين واحترام الآخرين، وهذا ما يسمى بغرس القيم من خلال القرآن ومما يترتب عليه الانضباط والسلوك التربوي فكانت الكتاتيب تتميز بانضباط صارم، وأخلاقيات يتربى عليها الطفل يوميا مثل: احترام الشيخ والنظافة الشخصية والالتزام بالمواعيد. وهناك أثر اجتماعي شامل ومن مظاهره التأثير الاجتماعي للكتاتيب من ناحية توحيد اللسان الديني بين الأطفال. ونشر القيم المشتركة. بتوفير بيئة تربوية تعزز التعاون والتكافل قال الدكتور عبد الفتاح أبو غدة: "الكُتّاب مدرسة أخلاق قبل أن يكون مدرسة علم" (١).

من هذا المنطلق كانت الكتاتيب كحاضنة مجتمعية متكاملة من حيث كونها بيئة تعليمية غير طبقية فكان الغني والفقير يتعلمون في المكان نفسه، دون تمييز، مما يعزز التآلف والاندماج الاجتماعي.

والمشاركة الأسرية والمجتمعية بين أولياء الأمور حيث كانوا يتابعون أداء أبنائهم، ويشاركون أحيانًا في رعاية الكتّاب، كإرسال الطعام للطلاب أو إصلاح المكان، مما يربط

(١)صفحات من صبر العلماء، ص ٤٧ مكتبة المطبوعات الإسلامية.

الكتاتيب بالمجتمع ربطًا مباشـرًا. بفضـل الاحتفالات الدينية والمناسـبات الاجتماعية كالاحتفال بختم القرآن أو المناسـبات الدينية، ما يعزز الروح الجماعية والانتماء إلى المجتمع.

نتائج واقعية على مستوى المجتمعات الإسلامية.

خرج من الكتاتيب علماء ومفكرون وقضـاة ومربّون تركوا بصـمات واضـحة في تاريخ الأمة وحفظ الهوية بتخريج أجيال مؤثرة كما لعبت الكتاتيب دورًا حاسـمًا في الحفاظ على الهوية اللغوية والدينية للأمة الإسـلامية في ظل حملات التغريب والاسـتعمار، يذكر المفكر محمد عمارة أن "الكتاتيب كانت حصـنًا منيعًا أمام التغريب، لأنها تُنمي الانتماء العقائدي والثقافي منذ الصغر." (١)

وتمثل الكتاتيب نموذجًا تربويًا ناجحًا، جمع بين التعليم والتقويم السـلوكي وغرس الأخلاق الحميدة، وأسـهمت في تكوين مجتمع متماسـك قيميًا وفكريًا. ورغم تغير الزمن، فإن الحاجة اليوم لإحياء روح الكتاتيب لا تزال قائمة، من خلال مؤسـسـات تجمع بين الأصالة والحداثة.

الكتاتيب ومكانتها في مقاومة تغريب المرأة والأسرة.

تلعب الكتاتيب دورًا محوريًا في ترسيخ القيم الإسلامية في أوساط الفتيات، خاصة في البيئات التي قد تتعرض فيها المرأة لتغريب قيمي وسلوكي، من خلال:

تعليم النساء والفتيات القرآن والأحكام الشرعية المتعلقة بهن.

إشراك الأمهات في العملية التعليمية، مما يعزز الدور التربوي للأسرة.

(١)- الهوية الإسـلامية والعولمة، د. محمد عمارة، ص ١٣٤ دار الشـروق، وينظر صـفحات من صـبر العلماء، عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية.

نشر الحجاب الشرعي والقيم الأسرية الأصيلة في مواجهة الانفلات الثقافي.

وقد أكدت الباحثة سناء السامرائي في دراستها حول المرأة والتعليم التقليدي أن "الكتاتيب النسائية كانت من أقوى أدوات المحافظة على مكانة المرأة المسلمة في وجه التغريب". (١)

رغم تطور التعليم النظامي، إلا أن بعض مناهجه ووسائله أصبحت محملة بثقافات دخيلة، خاصة في المواد غير الدينية، أو من خلال اللغات الأجنبية المهيمنة على التدريس.

بينما تظل الكتاتيب محافظة على الأصالة، وتُقدم التعليم في بيئة نقية من التأثيرات الغربية، لذا يوصي الباحثون بدمج بعض أساليب الكتاتيب في المدارس، مثل:

- تحفيظ القرآن في سن مبكرة وتقليص الاعتماد على المواد ذات الطابع الغربي.
- تدريب المعلمين على تقديم القيم الإسلامية ضمن السياق التعليمي. (٢)

دور الكتاتيب في الريف والمناطق المهمشة في مواجهة التغريب.

تنتشر الكتاتيب في الأرياف والقرى، حيث تكون أكثر فاعلية في مقاومة التغريب الثقافي، بسبب:

بعدها عن التأثير الإعلامي المباشر واعتمادها على روابط اجتماعية وثقافية متينة وقدرتها على الدمج بين التعليم والدعوة والتوجيه اليومي. وقد لاحظت دراسة ميدانية أجريت في المغرب أن الأطفال الذين التحقوا بالكتاتيب لمدة ثلاث سنوات كانوا أكثر تمسكًا بقيمهم الإسلامية مقارنة بأقرانهم في المدارس النظامية. (٣)

(١)- المرأة والتعليم الديني التقليدي في المجتمعات الإسلامية، سناء السامراني، مركز الحضارة، القاهرة، ٢٠٢٠).

(٢)- المرجع سابق.

(٣)- المجلس الأعلى للتربية والتكوين، تقرير حول التعليم التقليدي في المغرب، الرباط، ٢٠٢١)

أثر الكتاتيب في المجتمع من الناحية التعليمية والسلوكية والأخلاقية.

شهدت المجتمعات الإسلامية عبر التاريخ بروز الكتاتيب القرآنية كمؤسسات تعليمية تربوية واجتماعية، ساهمت في تشكيل النسيج القيمي والسلوكي للأمة. ولم يكن دور الكتاتيب مقتصرًا على التعليم فحسب، بل تجاوز ذلك ليشمل بناء شخصية الإنسان المسلم المتكاملة. في هذا المبحث نسلط الضوء على الأثر العميق للكتاتيب في المجتمع من جوانب ثلاثة رئيسة: التعليم، السلوك، والأخلاق.

أثر الكتاتيب في حفظ القرآن الكريم وانتقاله عبر الأجيال بالتلقين المباشر [١]لعبت الكتاتيب دورًا محوريًا في حفظ تواتر القرآن الكريم وانتقاله عبر الأجيال بالتلقين المباشر، حيث اعتمدت على نظام صارم في التعليم يعتمد على السماع والتلقين والمشافهة، مما أسهم في ضمان دقة نقل النص القرآني دون تحريف أو تغيير. ويمكن تفصيل ذلك من خلال النقاط التالية:

- دور الكتاتيب في ضمان التواتر اللفظي للقرآن.

اعتمدت الكتاتيب على طريقة التلقين الشفوي، حيث يقرأ الشيخ القرآن على الطلاب، ثم يعيدون قراءته أمامه حتى يتقنوا النطق الصحيح وكان الحفظ الجماعي في الكتاتيب يُرسِّخ النص القرآني في الأذهان، مما يجعل أي خطأ في التلاوة واضحًا ويمكن تصحيحه فورًا وكان الطلاب يراجعون المحفوظ يوميًا، ثم يراجعونه أسبوعيًا وشهريًا، مما يضمن استمرارية الحفظ عبر الزمن.

- – انتقال القرآن بسند متصل عبر الأجيال.

اعتمدت الكتاتيب على نظام السند والإجازة، حيث كان الطلاب لا يُجيزون في القراءة

(١)"النبأ العظيم: نظرات جديدة في القرآن " للشيخ محمد عبد الله دراز، طبعة دار القلم – دمشق، ص ١٢ وما بعدها.

إلا بعد أن يتقنوا التلاوة على شيخ مُجاز وكثير من القرّاء في العصور الإسلامية حصلوا على الإجازة بالسند المتصل إلى النبي ﷺ، مما ضمن استمرار تواتر النص القرآني من جيل إلى جيل. هذا النظام منع أي تحريف أو خطأ في نقل القرآن، حيث كانت القراءات تخضع لمراجعة صارمة من العلماء.

- الحفاظ على القراءات القرآنية المتواترة.

ساعدت الكتاتيب في الحفاظ على القراءات العشر المتواترة من خلال التدريس المنهجي لها وكان الطلاب يتعلمون أحكام التجويد وقواعد النطق الصحيحة، مما

ساهم في نقل القراءات القرآنية بطريقة صحيحة عبر العصور. وعبر انتشار الكتاتيب في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، مما جعل نقل القرآن عالميًا ومنتظمًا وفق أصول دقيقة وحماية النص القرآني من التحريف وذلك بسبب انتشار الحفظ الشفوي في الكتاتيب، فأصبح من المستحيل تغيير أي حرف

في القرآن لأن أي خطأ سيتم كشفه فورًا من قبل الحفظة. أدى ذلك إلى استمرارية نص القرآن الكريم كما هو، مطابقًا للمصحف العثماني، مما أكد دقة نقله.

- إسهام الكتاتيب في تخريج أجيال من الحفَاظ.

لعبت الكتاتيب دورًا رئيسا في تخريج الآلاف من حُفّاظ القرآن في كل جيل، مما أدى إلى بقاء النص القرآني محفوظًا في الصدور كما هو في السطور. وما زالت الكتاتيب والمدارس القرآنية في العديد من الدول الإسلامية تخرّج أعدادًا كبيرة من الحفاظ. إن دور الكتاتيب في حفظ تواتر القرآن الكريم وانتقاله بالتلقين المباشر كان أساسيًا وحاسمًا في ضمان ثبات النص القرآني كما نزل، ومن خلال اعتمادها على التلقين الشفوي، السند المتصل، والحفظ الجماعي، أصبحت الكتاتيب مؤسسة تعليمية دينية ذات تأثير عميق في

حفظ التراث الإسلامي ونقل القرآن بدقة مطلقة عبر الأجيال. [١]

الأثر السلوكي للكتاتيب.

من الأثار السلوكية التي يكتسبها الطفل من خلال دراسته وتعلمه في الكتَّاب:

١. غرس الانضباط والنظام:

كان الأطفال يتعلمون الحضور المبكر، واحترام أوقات الدراسة، وتنظيم الجلوس، والانتباه للمعلم، وكلها عناصر تعزز السلوك المنضبط. يذكر الغزالي: "إن الطفل يتأدب بالأفعال كما يتأدب بالأقوال، والتكرار في التعليم يحفر في السلوك ما لا تفعله المحاضرات." [٢]

٢. احترام الكبار والطاعة:

الشيخ في الكتّاب يُمثل السلطة التربوية العليا، ما يعوّد الطفل على طاعة الكبار واحترامهم، وهي من القيم السلوكية الأساسية في المجتمع الإسلامي.

٣. تحمل المسؤولية وضبط النفس:

كان على الطفل الالتزام بواجباته اليومية من حفظ ومراجعة، ويتحمل تبعات تقصيره، ما يُكسبه المسؤولية. كما كان يُوجه للتعامل مع زملائه بأدب وضبط في الحديث والتصرف.

الأثر الأخلاقي للكتاتيب.

عن طريق ترسيخ القيم الإسلامية قامت الكتاتيب بتعليم القيم المستمدة من القرآن والسنة: مثل الصدق، الأمانة، التواضع، الحياء، الإحسان، وغيرها، وهي تُغرس في نفوس

(١) عمامرة كمال، دور الكتاتيب والمدارس القرآنية في تنمية مهارة القراءة عند الطفل، بحث علمي منشور في مجلة الكلم المجلد الثامن، السنة الثانية، ص: أ٢/أ٤٧-٦٤، ٢٠٢٣-١٢-٣١.

(٢)إحياء علوم الدين، دار المعرفة، أبو حامد الغزالي، ج١، ص: ٦١) بيروت.

الأطفال من خلال الآيات، والمواقف التعليمية اليومية وكثير من الآيات التي تُدرّس في الكتاتيب لغرس التسامح وضبط النفس. وتهذيبها والابتعاد عن الانحراف فالكتاتيب كانت تمنع الأطفال من مخالطة رفاق السوء أو اللهو في الشوارع، فتكون درعًا يحميهم من الانحراف، ويُشغلهم بالعلم والذكر والآداب.

ومما عزز أثرها الأخلاقي عن طريق التربية بالقدوة فالمعلم أو الشيخ يُعد قدوة سلوكية وأخلاقية، كبرى لدى طلابه فكان يتعامل معهم بالصبر والحكمة، ويُظهر الورع والتقوى، ما يجعل الأطفال يقتدون به في سلوكهم اليومي. يقول الإمام الشافعي: "كنت أنظر إلى شيخي بعين التقدير، فكل فعله عندي سُنَة." (١)

المطلب الخامس: من الجهود العملية للدولة المصرية دعم الأوقاف للكتاتيب في مواجهة التغريب

كان للوقف الإسلامي دور رئيسي في تمويل الكتاتيب عبر العصور فقد أنشأ المحسنون أوقافًا خاصة لتغطية نفقات تشغيل الكتاتيب ورواتب المعلمين، إضافة إلى توفير مستلزمات الطلاب من أقلام وورق. وقد أشار ابن بطوطة إلى انتشار الكتاتيب المدعومة بالأوقاف في المغرب والأندلس بشكل خاص. (٢)

إطلاق وزارة الأوقاف ٤٥٠٠ كتَاب وحلقة تحفيظ القرآن الكريم في مصر خلال عام ونصف

أطلق الدكتور أسامة الأزهري، وزير الأوقاف، مبادرة «عودة الكتاتيب» من جديد، لحفظ القرآن الكريم ومعرفة معانيه والتعرف على أصول الدين الإسلامي من خلال المنهج الوسطى الأزهري على أيدي نخبة مختارة من المحفظين، واستقطاب الناشئة وتحصينهم

(١)سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج١٠، ص: ٤٩ مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٢)- تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار. ابن بطوطة، محمد بن عبد الله. دار الكتب العلمية، بيروت.

ضمن المبادرة الرئاسية «بداية جديدة لبناء الإنسان»، تنفيذاً لتوجيهات الرئيس عبد الفتاح السيسي برعاية وإكرام كل إنسان على أرض مصر، بما يعكس حرص الدولة على بناء أجيال جديدة تجمع بين الأخلاق والقيم النبيلة والفهم الصحيح والوسطى للدين. وتمثل تلك المبادرة المهمة ركيزة رئيسية لإحياء جهود حفظ القرآن الكريم والتحلي بأخلاقه، وبناء الوعى، وغرس حب الوطن ومعانى البذل والعطاء، وتعليم الأطفال، كما تعكس حرص «الأزهري» على استعادة الدور الريادي للكتاتيب في تنشئة الأجيال على قيم القرآن الكريم ومبادئ الإسلام السمحة، ويرى وزير الأوقاف أن عودة الكتاتيب تهدف إلى بناء الشخصية المصرية على أسس راسخة من الأخلاق الرفيعة، والفهم العميق لمعاني الدين، والانتماء الصادق للوطن، وشدد على أهمية هذه الصروح التربوية باعتبارها مصابيح تنير طريق الأبناء في مواجهة الفكر المتطرف والتحديات الفكرية التي تستهدف القيم الأصيلة.

وأوضحت الوزارة في بيان، أن لديها خطة طموحة لإطلاق «كُتّاب وحلقات القرآن الكريم»، في كل قرية رئيسية على مستوى الجمهورية، بإجمالي ٤٥٠٠ كُتّاب خلال عام ونصف، وحسب الوزارة، تهدف المبادرة لإحياء اللغة العربية السليمة في نفوس الأجيال الجديدة، باعتبارها لغة القرآن الكريم وحصن الهوية القومي، حيث سيتم اعتماد الوسائل التكنولوجية الحديثة في تطوير منهجية الكتاتيب لتتماشى مع احتياجات العصر ومتطلباته، مع الحفاظ على روح الأصالة التي ميزتها عبر التاريخ، مؤكدة أن «عودة الكتاتيب»، تمثل نافذة لاكتشاف المواهب الواعدة في مجالي التلاوة والإنشاد، بما يسهم في إحياء أمجاد عمالقة التلاوة المصرية، مثل الشيخ محمد

رفعت والشيخ محمود خليل الحصري والشيخ عبد الباسط عبدالصمد، كما أعربت الوزارة عن تطلعها لتخريج أجيال جديدة تحمل هذه الراية بكل اقتدار، لتواصل الحفاظ

على هذا التراث.

وأشـــارت الوزارة إلى أن المســـتهدف من هذه الخطة هو عودة الكتاتيب خلال وقت زمني معين، فيكون في كل من القرى الأم كُتَّاب من الكتاتيب، ثم في بقية القرى، بالتنسيق مع مؤسسات الدولة، مضيفًا أن الوزارة ستفتح بعض ملحقات المساجد لتكون مقراً للكتاتيب التي تســاعد وتعاون وتكمل عمل وزارة التربية والتعليم، مؤكدين أن الكُتَّاب ســيكون منبراً للعلم والمعرفة، يبنى شــخصــية الإنســان على الخلق القويم، ويرســخ معاني الصــلة والود والتقدير بين الصــغير والكبير، وبين أبناء الوطن جميعـًا، كما شـــددت الوزارة على أن الكتاتيب ليســت مجرد أماكن لتحفيظ القرآن الكريم، بل هي صــروح تعليمية وتربوية تزرع القيم النبيلة وتحفظ الهوية وتبنى الإنسان المصري.

وأكدت الوزارة، في بيان لها أن رؤية د. أسامة الأزهري تتمركز في أن «عودة الكتاتيب»، بداية لاجتماع القلوب على الخير والحب والوفاء، فالهدف من الكُتاب أن يقدم لأولادنا وبناتنا وللجيل الجديد الوعى، وأن يملأ قلوبهم بأخلاق القرآن الكريم، حيث أوصـــى «الأزهري» بخمسة مبادئ أساسية لكل حافظ للقران الكريم، ولكل طفل وإنسان على أرض الكنانة، وفى الدنيا بأكملها، مطالبـًا جميع محفظى القرآن الكريم في الكتاتيب بغرســها في وجدان الأطفال، فتلك المبادئ ستكون ميثاقًا لكل الكتاتيب في مصر، وسبيل الإنسان لأداء العبادة بحقها، وتحقيق المعنى الحقيقي المتكامل للإيمان، وشــملت تلك المبادئ احترام الأكوان، إذ يقول سبحانه «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» وكلمة العالمين تشمل كل المخلوقات ليعي أطفالنا احترام الأكوان، وكل ما يحيط بالإنسان.

كما شملت المبادئ إكرام الإنسان، حيث قال تعالى: «وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى آدَمَ»، أي أن كل إنســـان على اختلاف جنســـه وعمره مُكرّم، فلا يتنمر على أحد ولا يؤذى أحداً، بل يجب

التمسك بمكارم الأخلاق في معاملة الخلق، واحترام الأوطان، والسعي إلى رفعتها وافتدائها، وازدياد العمران، ليكون أداة بناء وعطاء وإبداع، لا أداة تخريب وهدم، وزيادة الإيمان، فكل المبادئ الأربعة الأولى إذا اجتمعت في إنسان بصدق، فقد وعى معنى الإيمان، فيرقى به في معارج التزكية وشكر النعمة.

بدوره، أكد د. أسامة رسلان، المتحدث الرسمي باسم وزارة الأوقاف، أن وزير الأوقاف أعلن إطلاق مبادرة لإحياء الكتاتيب، والجهد في هذه المبادرة ليس مقصوراً على وزارة الأوقاف، ولكنه يشمل العديد من المؤسسات تحت رعاية الرئيس عبد الفتاح السيسي، مشيراً لـ«الوطن» إلى أن الكتاتيب تمثل إحدى نقاط القوة الناعمة في مصر القائمة على الثقافة والقدرة على استيعاب الجديد والقديم، كما أن الوزارة لديها معهد لإعداد المحفظين والقراء، وتيسير مبادئ الفهم للقرآن الكريم، كما أن نشاط التحفيظ والإقراء له مسار إلكتروني أيضًا تيسيراً على الراغبين.

وأوضح «رسلان» أن الكُتّاب سيكون مجهزاً بوسائل حديثة سواء من حيث العرض السمعي أو البصري، وسيكون له دور في محو الأمية، واستيعاب البنات والأولاد بعد فترة المدرسة، مشيراً إلى أن الكُتاب سيعمل على ملء فراغ الأطفال بعد انتهاء النشاط المدرسي بتكلفة زهيدة للغاية في مكان آمن على الأطفال. وأشار «رسلان» إلى أن هناك تعاونًا بين كافة مؤسسات الدولة، بالتعاون مع مؤسسات المجتمع المدني مثل مصر الخير وبنك الطعام، وهذا يأتي في إطار العمل على تحقيق الحياة الكريمة وفقًا للمبادرات الرئاسية.

وأوضح «رسلان» أن الدولة المصرية تولى عناية كبيرة بالقرآن الكريم وأهله، فعمر المسابقة العالمية للقرآن الكريم يؤكد استمرار الريادة المصرية في هذا الصدد، وأوضح أن الجديد في نسخة هذا العام هو استحداث الفرع السابع، وهو مخصص لترجمات القرآن

الكريم إلى اللغات الأجنبية، ويمكن لأي شخص مصري أقل من ٣٥ عامًا ولديه المقدرة على إتقان لغة أجنبية أخرى، أيًا كانت، المشاركة في المسابقة، مردفًا: «نحن مستعدون لاختبار المتقدم في أي لغة»، وبيّن أن الهدف من ذلك هو نقل معانى آيات القرآن إلى تلك اللغة التي سيشارك بها المتقدم للمسابقة وفق الفهم الصحيح السمح للقرآن الكريم. وشدد على أن المسابقة العالمية للقرآن الكريم ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالاستراتيجية التي وضعتها وزارة الأوقاف، وتسعى لمكافحة التطرف وبناء الإنسان وصناعة الحضارة، فهذا كله يأتي في القلب منه استيعاب القرآن الكريم نصًا وروحًا ومعنى وفهمًا، وفهم المقاصد السامية، التي جاءت بها الرسالة والشرع الحنيف، وأكد المتحدث باسم وزارة الأوقاف أن المسابقة من أكبر المسابقات العالمية للقرآن الكريم على مستوى العالم من حيث أعداد المتسابقين، حيث يشترك فيها قرابة ٦٠ دولة، ومن حيث مقدار الجوائز وتنوعها، مشيراً إلى وجود فرع خاص لذوي الهمم، وأيضًا للأسرة القرآنية، ما يؤكد أن ريادتها حقيقية.

إعلان رئاسة مجلس الوزراء المصري عن مبادرة عودة الكتاتيب.

في بيان صادر عن وزارة الأوقاف: إطلاق مبادرة «عودة الكتاتيب» ودعوة الجميع للمشاركة لقد أعلنت وزارة الأوقاف عن إطلاق مبادرة «عودة الكتاتيب»، التي تهدف إلى إحياء دور الكتاتيب في تعليم القرآن الكريم بأسلوب تربوي سليم، ودعت المواطنين الراغبين في المشاركة إلى التواصل مع مسئولي شئون القرآن الكريم في المحافظات المختلفة، مع توفير أرقام الهواتف لجميع المسئولين لتسهيل عملية التسجيل والتواصل. بدأت الوزارة في استقبال طلبات المشاركة من خلال التوجه إلى أقرب إدارة أوقاف فرعية أو الاتصال المباشر بمسئولي شئون القرآن الكريم، الذين تم تحديد أرقام هواتفهم كما تدعو الوزارة المشاركين إلى تقديم بيانات الكُتّاب المطلوبة، والتي تشمل اسم الكُتّاب، موقعه،

اسم القائم على التحفيظ، المؤهل العلمي، الوظيفة، الرقم القومي، عدد الدارسين، والمكان الذي يتم فيه التحفيظ وتؤكد وزارة الأوقاف أن المبادرة تهدف إلى نشـر تعاليم القرآن الكريم بأسـلوب أصـيل، وتوفير بيئة تعليمية متكاملة تدعم القيم الأخلاقية والدينية، مشـيرة إلى أهمية التعاون بين جميع الأطراف لضمان نجاح هذه المبادرة الوطنية.

الرواق الأزهري.

أطلق الجامع الأزهر الشـريف أمس الاثنين، الدورة التدريبية الأولى لتأهيل خريجي عدد من محافظات الجمهورية للعمل في الرواق الأزهري.

وتُعقد الدورة بمركز إعداد وتطوير معلمي القرآن الكريم بالجامع الأزهر، وتهدف إلى تعزيز قدرات المشـاركين في الحفظ والأداء، إلى جانب تطوير مهاراتهم في مجالات التعليم والدعوة، بما يسهم في دعم رسالة الأزهر الشريف ونشر الفكر المستنير.

وتشمل الدورة خريجين من محافظات: الوادي الجديد، شمال سيناء، جنوب سيناء، البحر الأحمر، بورسعيد، الإسماعيلية، السويس، مرسى مطروح، والإسكندرية.

وفي مداخلة هاتفية للدكتور محمد الضـويني وكيل الأزهر، نقل للمتدربين تحيات فضيلة الإمام الأكبر الدكتور أحمد الطيب شيخ الأزهر، ودعاءه لهم بالسداد والتوفيق، مثمنًا جهدهم في الاهتمام بالعمل في مجال تحفيظ كتاب الله تعالى، مشـيرًا إلى عِظم الأمانة التي يحملونها، فهي أمانة تحتاج إلى إعداد وتأهيل سـواء بآلية التحفيظ أو بالعمل التربوي حتى يكون المحفظ على دراية تامة بعقول الدارسـين، فهي خطوة عظيمة نحو التوسـع في أروقة القرآن الكريم التي تربو على ١٢٥٠ فرعًا على مسـتوى الجمهورية، كما وجه الشـكر لكل المتدربين من حفظة كتاب الله الذين يعلمون الناس الخير ويعمِّرون الأفئدة بطيب الكلام، راجيًا أن يوفقهم الله لتحقيق الأهداف المرجوة ليكونوا سـواعد الأزهر الشـريف التي تعمل

على تحقيق أسمى غاياته وهي حفظ كتاب الله تعالى.

ومن جهته أوضح الدكتور عباس شومان، الأمين العام لهيئة كبار العلماء ورئيس المنظمة العالمية لخريجي الأزهر، أن القيام على خدمة كتاب الله تعالى هو الهدف الأسمى الذي ينشده الجميع، موصيًا المتقدمين لخدمة القرآن بضرورة التحلي بالإخلاص في العمل، فالإخلاص هو الأساس الذي يبنى عليه كل عمل صالح، ويتعين على القائمين على تعليم وتفسير القرآن أن يضعوا أمام أعينهم رسالة عظيمة، وهي نشر القيم الإنسانية والأخلاقية التي يدعو إليها القرآن، وأن الإخلاص في العمل والالتزام برسالة القرآن الكريم يمكن أن يسهم في بناء مجتمع أفضل يعكس القيم الإسلامية السامية.

وفي نفس السياق أضاف الدكتور هاني عودة مدير عام الجامع الأزهر، أن الدورة التدريبية التي يطلقها مركز إعداد وتطوير معلمي القرآن الكريم بالجامع الأزهر تأتي في سياق خطة شاملة يتبناها الجامع الأزهر لتأهيل كوادر متميزة قادرة على أداء رسالتها بكفاءة في مختلف ربوع الجمهورية من خلال الرواق الأزهري، لافتًا إلى أن الدورات التدريبية تقوم على ثلاثة محاور أساسية، تشتمل على محور إتقان حفظ كتاب الله، حيث يتم مراجعة القرآن الكريم بواقع ٤ أجزاء أسبوعيًّا، إضافة إلى محور مراجعة أحكام التلاوة والتجويد وحفظ متني تحفة الأطفال والجزرية، إلى جانب محاضرات تربوية وفكرية ليكون المحفظ صاحب عقيدة سليمة وفكر وسطي معتدل [١]

بناء العقيدة والشخصية الإيمانية المتوازنة من خلال أعمال الرواق الأزهري.

أعلن الرواق الأزهري بالجامع الأزهر، عن إطلاق برنامج مميز يهدف إلى بناء العقيدة في نفوس النشء، وذلك من خلال تنظيم ٣٢٤ ملتفا في مراكز الشباب والرياضة بجميع

(١)-جريدة اليوم السابع عدد يوم الثلاثاء، ١٥ أبريل ٢٠٢٥م

أنحاء الجمهورية خلال الشهر القادم، ويهدف هذا البرنامج إلى تعزيز الفهم الديني الصحيح لدى النشء، وتزويدهم بالمعرفة اللازمة لتكوين شخصية إيمانية متوازنة ونافعة للمجتمع، وذلك برعاية من فضيلة الإمام الأكبر الدكتور أحمد الطيب، شيخ الأزهر الشريف، وفي إطار المبادرة الرئاسية "بداية جديدة لبناء الإنسان"، وبالتعاون مع وزارة الشباب والرياضة.

وقال الدكتور عبد المنعم فؤاد، المشرف العام على الأنشطة العلمية للرواق الأزهري بالجامع الأزهر، إن نخبة من وعاظ الأزهر الشريف ولجان الفتوى، وبالتنسيق مع الإدارات الفرعية للرواق الأزهري بمحافظات الجمهورية، ستشارك في تقديم هذه الملتقيات، وسيتناول المحاضرون خلال اللقاءات أهم الموضوعات العَقَدية، مثل الإيمان بالله والرسل والملائكة والغيبيات والقضاء والقدر، وأثر هذه العقائد في تشكيل شخصية النشء.٢٠٢٥ وشدد على أن هذه الموضوعات أساسية لبناء قاعدة دينية سليمة، تساهم في تنشئة جيل واعٍ وقادر على مواجهة التحديات، مشيرًا إلى أن هذه الملتقيات ستُعقد في مراكز الشباب بجميع محافظات الجمهورية، مما يسهل على النشء والشباب المشاركة والتفاعل مع هذه المبادرة. من جانبه، أوضح الدكتور هاني عودة، مدير عام الجامع الأزهر، أن هذا البرنامج يعد جزء من جهود الرواق الأزهري لنشر الوعي الديني وتعزيز القيم الإنسانية ومن المتوقع أن يسهم البرنامج في تشكيل هوية دينية قوية لدى النشء، ما يعزز قدرتهم على التفاعل الإيجابي مع مجتمعاتهم، وفتح باب المناقشة والرد على الأسئلة المتعلقة بالموضوعات المختلفة.

ومن هنا تأتي أهمية التعليم والتوعية الدينية في بناء مجتمع قوي ومتحد، مشيراً إلى أن هذه الخطوة تأتي في وقت يحتاج فيه النشء والمجتمع إلى فهم صحيح للدين، وتجنب التطرف والإرهاب الفكري، لافتا إلى أن من المنتظر أن يحقق البرنامج نجاحًا واسعًا ويترك أثراً إيجابيًا على الفئات المستهدفة

مؤشرات الإقبال المجتمعي على الكتاتيب.

تشـير الإحصـاءات إلى أن آلاف الأطفال في مصـر ما زالوا يتلقون تعليمهم الأولي في الكتاتيب، وأن هناك طلبًا متزايدًا عليها في ظل القلق من ضـعف المسـتوى الديني واللغوي لدى الأطفال في المدارس الرسـمية [١] كما تُفضّـل كثير من الأسـر المصـرية إرسـال أطفالها إلى الكتاتيب قبل دخولهم المدرسـة، لتأسـيسـهم دينيًا ولغويًا، وهو ما يعكس إدراكًا شـعبيًا ضمنيًا لأهمية الحفاظ على الهوية الإسلامية.

آفاق مستقبلية وتوصيات استراتيجية.

يُمكن القول إن الكتاتيب تُشكّل ركيزة أساسية في بناء مجتمع متماسك الهوية، وقادر على مقاومة التغريب الثقافي والتعليمي. ولتعزيز هذا الدور، يُوصـى بدعم الكتاتيب ماديًا وتشـريعيًا، وتدريب محفظيها تربويًا، ودمجها ضـمن خطط التعليم المجتمعي غير الرسـمي. كما يُوصـى بإجراء دراسـات ميدانية معمقة لقياس أثرها الفعلي على مقاومة التغريب، وتوسيع نطاق دعم الأزهر لها [٢]

العلاقة بين الكتاتيب والأزهر الشريف.

ترتبط الكتاتيب تاريخيًا بالأزهر الشـريف، الذي كان وما زال المرجعية الدينية العليا في مصـر. وكثير من شـيوخ الكتاتيب هم من خريجي الأزهر، أو ممن تلقوا تعليميهم فيه، وهذا يضـمن اسـتمرار المنهج الأزهري المعتدل والمنفتح داخل منظومة الكتاتيب [٣] ويُمكن القول إن الكتاتيب تمثل الامتداد الشـعبي للتعليم الأزهري، خاصـة في المناطق الريفية

(١)- المركز القومي للبحوث التربوية. تقرير حول الكتاتيب في مصر. وزارة التربية والتعليم ص ٣٤ (٢٠٢١.

(٢)- استراتيجيات مقاومة التغريب الثقافي. القاهرة: عبد الفتاح أبو زهرة ص ١٠٥ دار الفكر العربي. ٢٠١٨،

(٣)- الأزهر والتعليم الديني في مصر. صلاح منصور، ص ٦٧ القاهرة: الهيئة العامة للكتاب.، ٢٠٠٧ .

والفقيرة. كما أن الأزهر يدعم بعض الكتاتيب ويشرف على تدريب معلميها، ما يجعلها منسجمة مع الفكر الإسلامي الوسطي الذي يتبناه الأزهر ويقاوم به تيارات التغريب أو التطرف معًا.

تقييم دور الكتاتيب في الواقع المعاصر.

لا تزال بعض المجتمعات الإسلامية تحتفظ بالكتاتيب كمؤسسات تعليمية موازية أو بديلة، خاصة في المناطق التي تعاني من ضعف التعليم النظامي. وقد أثبتت الدراسات الميدانية في بعض الدول مثل المغرب ومصر والسودان أن الكتاتيب تلعب دورًا متجددًا في حفظ القرآن الكريم ونشر الثقافة الإسلامية [١]

يتضح مما سبق أن الكتاتيب ليست مجرد مؤسسات تقليدية، بل هي أنظمة تربوية متكاملة أسهمت ولا تزال تسهم في إصلاح النشء وتوجيهه. وبالرغم من تطور أساليب التعليم الحديثة، فإن الحفاظ على نموذج الكتاتيب وتطويره يمثل ضرورة حضارية وأخلاقية في ظل ما يواجهه النشء من تحديات ثقافية وفكرية.

الرواق الأزهري في مصر ومجالاته.

يُعد الرواق الأزهري من أعرق المؤسسات التعليمية والتربوية في العالم الإسلامي، ويمثل أحد المكونات التاريخية في منظومة التعليم الأزهري. وقد أسهم عبر القرون في نشر العلوم الشرعية واللغوية، وفي تربية أجيال من العلماء والدعاة والفقهاء. وفي هذا المبحث نسلط الضوء على الرواق الأزهري: نشأته وتطوره، ومجالاته التعليمية والدعوية والاجتماعية، ووظيفته في العصر الحديث.

(١)- دور الكتاتيب في تعليم النشء في مصر. محمد عبد الجواد، ص٦٦ مجلة البحوث التربوية، العدد ١٤. ٢٠١٧.

أولًا: تعريف الرواق الأزهري ونشأته.

تعريف الرواق لغة: المكان المسقوف، واصطلاحًا: هو الجناح أو القاعة المخصصة لنوع معين من طلاب العلم داخل الجامع الأزهر. أو خارج مصر على مستوى العالم وقد تطور الرواق ليصبح مؤسسة تعليمية قائمة بذاتها داخل الأزهر الشريف.

النشأة التاريخية:

بدأت فكرة الأروقة في الجامع الأزهر منذ العصر الفاطمي، لكنها تطورت في العصر المملوكي والعثماني، حيث خُصصت أروقة للطلاب الوافدين من أنحاء العالم الإسلامي، مثل: رواق الشوام، ورواق الأتراك، ورواق المغاربة، ورواق الصعايدة. يقول الدكتور محمد عبده حسان: "الرواق كان بمثابة مدرسة داخلية على يد كبار علماء الأزهر، وقد شكل نواة التعليم المنتظم في الإسلام." (١)

ثانيًا: الوظائف التعليمية للرواق الأزهري.

١. تدريس العلوم الشرعية كان الرواق مركزًا لتدريس القرآن الكريم وعلومه، الفقه، الحديث، أصول الدين، والعقيدة، وقد تميز بأسلوب الإجازة العلمية من الشيخ إلى التلميذ.

٢. دراسة اللغة العربية حيث شملت المناهج تعليم النحو، والصرف، والبلاغة، والأدب العربي، ما ساعد على ترسيخ الفصحى ونشر الثقافة الإسلامية.

٣. أسلوب الحلقات والإجازات وهو نظام يقوم على الدراسة من خلال حلقات علمية غير صفية، يجلس فيها الشيخ ويلتف حوله الطلاب، ثم يُمنح الطالب إجازة في الكتاب الذي قرأه.

(١) الأزهر والتعليم الإسلامي، محمد عبده حسان، ص: ٧٤ دار الطباعة الحديثة.

جاء في تاريخ التعليم في الأزهر أن "الإجازة كانت تُمنح بعد اجتياز الطالب للشرح والفهم، لا مجرد الحفظ، ما يدل على عمق المناهج الأزهرية." (١)

ثالثًا: المجالات الدعوية للرواق الأزهري.

- إعداد الدعاة والعلماء: لقد خرّج الرواق الأزهري مئات العلماء الذين عملوا في الدعوة الإسلامية في مصر والعالم، وكانوا سفراء للأزهر في نشر منهج الاعتدال.
- الرد على الشبهات: قام شيوخ الأروقة بدور مهم في رد الشبهات الفكرية والعقدية، خاصة في مواجهة حركات التغريب والاستعمار الثقافي، بأسلوب علمي رصين.
- الخطب والدروس العامة: كان يُخصص في الرواق دروس عامة مفتوحة لزوار الأزهر، يُلقيها العلماء بعد الصلوات أو في المناسبات الدينية.

رابعًا: الرسالة الاجتماعية والثقافية للرواق.

وفّر الرواق إقامة مجانية للطلاب غير المصريين أو القادمين من الصعيد، فكان للرواق نظام تمويل داخلي لتوفير الطعام للطلاب، بفضل أوقاف خصصها أهل الخير، ما جسّد مفهوم التكافل العلمي والاجتماعي فكان طلاب الشام والمغرب والحجاز واليمن يدرسون جنبًا إلى جنب، ما ساعد على التفاهم والتقارب الحضاري ما ساعد على نشر العلم بين المتعلمين كما مثلت الأروقة بيئة خصبة للثقافات الإسلامية، قال الجبرتي: "كان طلبة الأزهر يعيشون في كنف الرواق، يدرسون ويأكلون ويقيمون فيه دون أن يحملهم همّ النفقة." (٢)

---

(١)تاريخ التعليم في الأزهر عبد الحميد عبادة، ص: ٩١ مكتبة النهضة المصري، ينظر الأزهر في ألف عام عبد العزيز الشناوي، دار المعارف.

(٢)عجائب الآثار في التراجم والأخبار، الجبرتي، ج١، ص: ٢٣١) دار الجيل

ينظر: الرواق الأزهري التاريخ والدور، الهيئة العامة للكتاب. يوسف مراد،

خامسًا: التطور الحديث للرواق الأزهري.

في السنوات الأخيرة، أعادت مشيخة الأزهر إحياء "الرواق الأزهري" كهيئة تعليمية ودعوية، تحت رعاية الإمام الأكبر أحمد الطيب، وإشراف كبار علماء الأزهر مما ساهم في إحياء مؤسسة الرواق.

كما تطورت مجالات التعليم فيه مثل تعليم العلوم الشرعية المبسطة للعامة، وتقديم برامج حفظ القرآن الكريم، وإعداد دورات للرد على الفكر المتطرف، ورش علمية لتأهيل الدعاة والباحثين.

كما اعتمد الرواق في تطوره الحديث على التعليم الإلكتروني، وإتاحة الدروس عبر الإنترنت، ما جعله أكثر انتشارًا وفاعلية في العالم الإسلامي.

صرّح الشيخ صالح عباس، وكيل الأزهر، بأن: "الرواق الأزهري اليوم بات مؤسسة متكاملة تجمع بين الأصالة والمعاصرة، وتستهدف كل فئات المجتمع." [1]

يمثل الرواق الأزهري نموذجًا فريدًا في التعليم الديني والاجتماعي في الإسلام، إذ جمع بين الأصالة والانفتاح، وبين الدعوة والخدمة الاجتماعية. وقد تطور عبر القرون ليظل منارة علم وهداية، ويحتاج اليوم إلى مزيد من الدعم والتطوير ليواكب تطلعات الأمة.

اعتماد الرواق الأزهري في محافظات مصر.

استحدث الأزهر الشريف نظام الرواقات الخارجية لنقل خدماته إلى كافة ربوع مصر، وربط الجمهور بالأزهر مباشرة. وبلغ عدد فروع الرواق الأزهري أكثر من ١٠٠ مقر في جميع المحافظات حتى عام ٢٠٢٤، وفقًا لمشيخة الأزهر حيث صرّح الدكتور عبد المنعم فؤاد، المشرف العام على الأروقة، قائلاً: "انتشر الرواق الأزهري في مختلف محافظات

(١)موقع الأزهر الرسمي، ٢٠٢٣)

مصر ليُعيد دور الأزهر الريادي في التعليم والدعوة وخدمة المجتمع." [١]

من الواجب تطوير الرواق في العصر الحديث، بإدخال التعليم الإلكتروني عبر المنصات وإنشاء وحدات للرواق داخل المعاهد الأزهرية، وتفعيل برامج الرد على الفكر المتطرف مع توفير حلقات علمية يومية في المساجد الكبرى. وقد جاء في بيان الأزهر:

"الرواق وسيلة معاصرة لترسيخ العلم الشرعي في المجتمع المصري، وتجسيد لوظيفة الأزهر كحارس للفكر الوسطي المعتدل." [٢]

إن الرواق الأزهري لم يعد مجرد مؤسسة تعليمية تقليدية، بل أصبح مظلة تربوية ودعوية تمتد من القاهرة إلى أقصى صعيد مصر. وقد أعاد الأزهر بث الروح في هذا الكيان ليواصل رسالته في تنوير العقول وبناء الإنسان على هدي القرآن والسنة. ويُعد توسّع الرواق في المحافظات تجسيدًا عمليًا لرؤية الأزهر في مواجهة الجهل والتطرف وتثبيت القيم الإسلامية الأصيلة.

عدد فروع الرواق الأزهري في محافظات مصر.

شهدت السنوات الأخيرة توسعًا كبيرًا في إنشاء فروع الرواق الأزهري على مستوى الجمهورية، وذلك في ضوء استراتيجية الأزهر الشريف لنشر التعليم الديني الوسطي وتيسير سبل الوصول إلى العلوم الشرعية لكافة شرائح المجتمع. وقد جاء هذا التوسع متسقًا مع توجيهات فضيلة الإمام الأكبر الدكتور أحمد الطيب، شيخ الأزهر، بضرورة مدّ جسور العلم والمعرفة من خلال الرواق إلى جميع القرى والمراكز. وبحسب تقرير صادر عن الجامع الأزهر، بلغ عدد فروع الرواق الأزهري المنتشرة على مستوى الجمهورية أكثر من (١٢٥٠) فرعًا في مطلع عام ٢٠٢٥، تشمل جميع محافظات مصر، بما في ذلك المدن الريفية

(١) (موقع الأزهر الرسمي، ٢٠٢٤) تاريخ التعليم في الأزهر، عبد الحميد عبادة، مكتبة النهضة المصرية.

(٢) بوابة الأزهر الإلكترونية، بيانات الرواق ٢٠٢٢-٢٠٢٤.

والنائية. وقد لوحظ أن أغلب الفروع تتركز في المحافظات ذات الكثافة السكانية المرتفعة، مثل القاهرة، والجيزة، والشرقية، والدقهلية، والمنوفية، والمنيا، وملوي وأسيوط، وسوهاج، وذلك نظرًا لزيادة الطلب على التعليم الأزهري والعلوم الشرعية في تلك المناطق. كما أن عدد الفروع شهد قفزات متتالية خلال الأعوام الأخيرة، حيث أشار تقرير رسمي صادر عن الأزهر الشريف إلى أن عدد الفروع قد ارتفع من (٨٧٦) فرعًا في عام ٢٠٢١ إلى (١٠٢٦) فرعًا في نهاية عام ٢٠٢٣، ثم تجاوز حاجز (١٢٥٠) فرعًا بحلول عام ٢٠٢٥. وقد جاء هذا التوسع نتيجة حراك تنظيمي مكثف أجرته هيئة كبار العلماء وقطاع المعاهد الأزهرية بالتنسيق مع المحافظات المختلفة. (١)

أنشطة الرواق الأزهري التعليمية والدعوية

لا يقتصر دور الرواق الأزهري على التعليم التقليدي فقط، بل يمتد ليشمل أنشطة علمية وثقافية ودعوية وتربوية تهدف إلى الارتقاء بمستوى الوعي الديني والفكري لدى مختلف فئات المجتمع، من الأطفال إلى الكبار. وقد تم تنظيم هذه الأنشطة ضمن برامج مرنة ومتكاملة، تتضمن:

تعليم العلوم الشرعية والعربية في دورات تعليمية في علم الفقه، والعقيدة، والحديث، والتفسير، والسيرة النبوية، واللغة العربية. ويتم تقديم هذه المواد على مستويات متعددة، بداية من المستوى التمهيدي، ثم المتوسط، ثم التخصصي، بما يتناسب مع خلفيات الدارسين العلمية والثقافية. وقد بلغ عدد الدارسين في هذه الدورات أكثر من ١٠٠ ألف

(١)- بوابة الأزهر الإلكترونية، "طفرة في الأنشطة العلمية والدعوية للجامع الأزهر"، azhar.eg، نُشر بتاريخ ٢٠ يناير ٢٠٢٤، (رابط:

https://www.azhar.eg/sawtalazhar/details/ArtMID/2232/ArticleID/91725.

دارس في عام ٢٠٢٣ فقط، وفقًا لبيانات قطاع الرواق. كذلك تحفيظ القرآن الكريم حيث يُعد تحفيظ القرآن الكريم من أبرز الأنشـطة وأكثرها اسـتقطابًا للناشـئة والكبار، حيث تم إنشـاء أكثر من (٢١,٠٠٠) حلقة تحفيظ أسـبوعية يشـرف عليها ما يزيد على (٤,٢٠٠) محفظًا مؤهلًا من خريجي الأزهر الشـريف. وقد اسـتفاد من هـذه الحلقـات أكثر من (١٦٠,٠٠٠) طالب وطالبة في عام ٢٠٢٣، موزعين على المحافظات المختلفة.

ومن أنشـطة الرواق إعداد الدورات التأهيلية للمعلمين والمحفظين حيث ينظم الرواق برامج تدريبية لتأهيل محفضـي القرآن الكريم، تتضـمن دورات في القراءات، وأحكام التلاوة، والتجويد العملي، وأساليب تعليم الأطفال. كما يقدم برامج تأهيلية لمعلمي العلوم الشرعية.

وينظم الرواق ملتقيات ثقافية تُعقد في مقراته الرئيسة، كـ"ملتقى الطفل والأسرة" الذي يُعقد بالتعاون مع وزارة الشـباب والرياضـة، و"الملتقى الرمضـاني" الذي يجمع بين الوعظ والأنشـطة الثقافية. وتهدف هذه اللقاءات إلى ترسـيخ القيم الإسـلامية، وتعزيز دور الأسـرة، والرد على الشـبهات الفكرية، وخاصـة تلك المنتشـرة عبر مواقع التواصـل وفي ظل التحول الرقمي، أطلق الرواق منصات إلكترونية لبث الدروس والمحاضرات عبر الإنترنت، وتوفير إمكانية الدراسـة عن بعد، مع اعتماد شـهادات اجتياز معتمدة. وقد سـاهم هذا التطور في توسـيع دائرة المسـتفيدين من الرواق، خاصـة من المقيمين في المناطق النائية أو خارج مصر.[١]

---

١ – جريدة اليوم السـابع، "افتتاح الأروقة الأزهريّة لتصـل إلى ١٠٢٦ فرعًا"، youm7.com، ١ يناير ٢٠٢٤، (رابط: https://www.youm7.com/story/2024/1/1/6433253/).

ينظر الرواق الأزهري – الصفحة الرسمية، إحصائية أعداد المحفظين والدارسين، منشور في ديسمبر ٢٠٢٣، رابط: https://www.facebook.com/azhar.mosqu/posts/971474631763185

ينظر بوابة الأزهر، "أنشطة الرواق الأزهري" https://www.azhar.eg.

أثر الرواق الأزهري في دعم الهوية الدينية ومواجهة التغريب.

لا شك أن الرواق الأزهري يمثل أحد الحصون الفكرية التي أنشأها الأزهر الشريف بغية حفظ الدين الصحيح وتحصين الأفراد، خاصة الشباب، ضد مظاهر التغريب والانفصال عن الهوية الثقافية والدينية. فقد لعب الرواق دورًا حيويًا في مواجهة التيارات الفكرية الوافدة، التي غالبًا ما تحمل رؤى مناقضة للتعاليم الإسلامية الوسطية ومن آثار الرواق في مواجهة التغريب ما يلي:

- ترسيخ المرجعية الإسلامية الوسطية.

عبر تدريس العقيدة على منهج أهل السنّة والجماعة، وتعليم الفقه بأربعة مذاهب، وتعزيز الفهم الصحيح للقرآن الكريم والسنة، ساهم الرواق في تكوين أجيال ذات هوية دينية راسخة، واعية بمقاصد الشريعة، ومحصّنة ضد الفكر المتشدد من جهة، أو التغريبي

من جهة أخرى. وقد أشارت دراسة أعدها مركز الأزهر العالمي للفتوى الإلكترونية إلى أن نسبة وعي الشباب المشاركين في برامج الرواق الأزهري حول قضايا التغريب ارتفعت بنسبة ٤٢٪ بعد خضوعهم للبرنامج العلمي الكامل، ما يدل على فعالية هذه الأنشطة في معالجة القضايا المعاصرة.

- تصحيح المفاهيم المغلوطة.

تصدّى الرواق، من خلال دروسه ومجالسه، للعديد من المفاهيم الخاطئة المنتشرة في وسائل الإعلام ومنصات التواصل، كإثارة الشبهات حول مكانة المرأة في الإسلام، أو الطعن في السنة النبوية، أو الدعوة لفصل الدين عن الحياة العامة. وقد تم تخصيص برامج توعوية ومقالات دورية توزع في الرواق لمعالجة هذه الشبهات بأسلوب علمي معتدل.

- دعم الأسرة المسلمة والتماسك الاجتماعي من خلال الملتقيات الأسرية التي تُنظم في

بعض الأروقة، وخاصة في شهر رمضان والعطلات، يسعى الرواق إلى إحياء القيم الأسرية، وتعزيز التواصل بين أفراد الأسرة، ومواجهة مظاهر التفكك المجتمعي الناتج عن التغريب الثقافي والإعلامي.

- مواجهة التطرف والإلحاد.

يشكل الرواق جبهةً فكرية تقف أمام موجة الإلحاد والانبهار الثقافي بالغرب، عبر مناقشات علمية موسعة تُعقد مع الشباب تحت إشراف علماء متخصصين. وقد أثمرت هذه اللقاءات عن عودة عدد كبير من الشباب إلى الالتزام الديني بعد خوضهم فترات شكٍّ واضطرابٍ فكري. (١)

التحديات التي تواجه الرواق الأزهري وآفاق تطويره.

رغم النجاحات اللافتة التي حققها الرواق الأزهري، إلا أنه لا يخلو من التحديات التي تعوق أداءه الكامل وتحدّ من فاعليته في بعض المواقع، ومنها:

١ . قلة الموارد المادية والبشرية.

تعاني بعض فروع الرواق، خاصة في المناطق النائية، من قلة التمويل اللازم لتجهيز القاعات، وضعف الرواتب للمحفظين والمعلمين مما يؤدي إلى انخفاض معدلات الحضور أو تسرب الكفاءات. ويعتمد الرواق في بعض المناطق على الجهود التطوعية، مما قد يحدّ من الانتظام والاستمرارية، مع ضعف البنية التكنولوجية وفي ظل التحول الرقمي، لا تزال بعض الفروع تفتقر إلى تقنيات التعليم الإلكتروني، كأجهزة العرض، وشبكات

(١)- مركز الأزهر العالمي للفتوى، "دراسة ميدانية حول أثر الرواق الأزهري"، ٢٠٢٣.

مجلة صوت الأزهر، العدد ٥١٢، "الرواق: جبهة فكرية ضد التطرف والتغريب"، مايو ٢٠٢٣.

https://www.azhar.eg

الإنترنت الجيدة، مما يصعّب الوصول إلى الدروس المباشرة أو الأرشيف العلمي المتاح على منصة الرواق الإلكترونية.

٢- التحديات الفكرية والإعلامية. يواجه الرواق هجومًا غير مباشر من التيارات الحداثية التي تروّج لفصل الدين عن الحياة، وتُقلل من أهمية مؤسسات التعليم الديني، ما يجعل الرواق في حاجة دائمة لتجديد الخطاب وابتكار آليات توصيل تناسب لغة العصر.

٣- الحاجة إلى تطوير المناهج وأساليب التدريس.

مع تطوّر أدوات التعليم الحديث، صار من الضروري إعادة صياغة مناهج الرواق بصورة أكثر تفاعلية، واستحداث وسائل إيضاح بصرية وسمعية، خصوصًا في المراحل التمهيدية، لتحفيز الأطفال والناشئة. لذلك يمكن صياغة آفاق تطوير الرواق الأزهري: بزيادة الاعتمادات المالية بالتعاون مع الجهات الرسمية والداعمين وتدريب الكوادر التدريسية على مهارات التواصل والتدريس الرقمي وتعميم نموذج الرواق الإلكتروني وتوفير تطبيقات ذكية للهواتف المحمولة بما يخدم تطوير المناهج وفق أحدث المعايير التربوية، وربطها بالواقع المعاصر. [١]

دور الكتاتيب في مواجهة الإعلام التغريبي.

من الأدوار التي لا يمكن إغفالها للكتاتيب قوة تأثيرها على النشأ خاصة في تعزيز حمايتهم من مخاطر الإعلام التغريبي العالمي الذي طال عقول الأبناء في كل مكان تصل إليه وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي وذلك عن طريق:

١- تعزيز المناعة الفكرية وذلك في ظل انتشار الإعلام الغربي والمحتوى غير المنضبط،

(١) تقرير لجنة تطوير التعليم الأزهري، ٢٠٢٣م، موقع الرواق الأزهري: www.azhar.eg /rwaq ، جريدة الأهرام، "تحديات الرواق وملامح التطوير"، أبريل ٢٠٢٤م.

وتعمل الكتاتيب على ترسيخ العقيدة وتعزيز الانتماء الإسلامي وتنقية الفكر من الشبهات.

٢. إحياء روح النقد والبصيرة: من خلال تفسير الآيات ومناقشة المعاني، يُربّى الطالب على التفكير التحليلي، مما يجعله قادرًا على تمييز الصواب من الخطأ.

٣. بديل تربوي آمن: الكتاتيب أصبحت، خاصة في القرى، بديلًا آمنًا لتربية الأبناء في ظل غياب الرقابة على المحتوى الموجّه للأطفال في القنوات الفضائية ووسائل التواصل الاجتماعي.

يقول الشيخ محمد الغزالي: "الكتاتيب حافظت على جوهر الإسلام حيث فشلت المدارس الحديثة في ذلك." [١]

نماذج ميدانية لأثر الكتاتيب في مصر الريفية:

شهدت قرى مصر انتشارًا واسعًا للكتاتيب منذ القرن العاشر الهجري، حيث كان الكُتّاب مركزًا علميًا وروحيًا في كل قرية. وقد خرجت منه أجيال متعاقبة تحمل القرآن وتتكلم الفصحى وتحمل أخلاقًا سامية وفي المغرب العربي كان نظام "المحضرة" المشابه للكتاب في موريتانيا والمغرب، شكّل نظامًا متكاملًا لحفظ الدين واللغة في بيئة بسيطة وكذا في جنوب آسيا حيث كانت الكتاتيب في الهند وباكستان لا تزال تخرج الملايين من حفظة القرآن رغم الظروف الاقتصادية والاجتماعية الصعبة. إن الكتاتيب القرآنية ليست مجرد مؤسسة لتحفيظ القرآن، بل هي منارة لغوية وأخلاقية وثقافية، أسهمت في حماية المجتمعات الإسلامية من موجات التغريب والتفكك، وعززت روح الانتماء للهوية الإسلامية. ويُعد دعمها وتطويرها اليوم من أولويات النهوض الحضاري. [٢]

---

(١)قذائف الحق، محمد الغزالي، ص ١٢٨ دار الشروق.

(١) الكتاتيب ودورها في حفظ القرآن الكريم، عبد الباقي يوسف، دار القلم. وينظر التعليم التقليدي في العالم الإسلامي، صالح العايد، المجمع الفقهي، مكة المكرمة. وينظر الموقع الرسمي للأزهر الشريف: www.azhar.eg

خاتمة البحث

وتشمل أهم النتائج والتوصيات:

أما عن نتائج البحث فيمكن عرضها كالآتي:

أولا: كان للكتاتيب الدور الرئيس في حفظ القرآن عبر الأجيال بالتلقين المباشر، باستخدام الألواح والكتابة كما ساهمت في نشر علوم اللغة العربية، لضمان التلاوة المجودة والفهم الصحيح للقرآن.

ثانيا: ساعدت الكتاتيب في تمهيد الطريق لتأسيس المدارس الكبرى مثل بيت الحكمة والمدارس النظامية في العصر العباسي وما بعده وكانت الكتاتيب مركزًا رئيسيًا حيث أمدت الأزهر الشريف بالعديد من العلماء والخطباء والأئمة وحفظة القرآن الكريم.

ثالثا: اتضح من خلال جهود الشيوخ والعلماء والمحفظين مدى موسوعيتهم وغزارة علمهم وحضور بديهتهم في معرفة وكشف المصطلحات الزائفة التي يروج لها الغرب تحت ستار الحرية والتحرر تلك المصطلحات التي تشوه الواقع وتخدع الناس وتموه الحقائق فكانت الكتاتيب مركزا للتربية والتعليم والتنشئة الاجتماعية والحافظة والراعية والمنشأ الأول في تربية الأجيال دينيا، وأخلاقيا، واجتماعيا، وفكريا.

رابعا: تبين من خلال نتائج البحث دور الكتاتيب في الحفاظ على الهوية الثقافية واللغوية العربية باعتبارها وسيلة تعليمية فعّالة للأجيال في حفظ القرآن وتعليمهم كما ساهمت في بناء إرث ثقافي وديني كبير في العالم الإسلامي، حيث إن العديد من العلماء والدعاة تخرجوا من هذه الكتاتيب.

خامسا: كشفت الدراسة عن دور الكتاتيب وجهود شيوخها الكرام في مواجهة التغريب عمليا ومكافحة مظاهره على أرض الواقع. وذلك عن طريق التربية والتعليم لذا ما زالت

بعض الدول الإسلامية في آسيا وإفريقيا تحافظ على نظام الكتاتيب وتحفيظ القرآن والتمسك بأخلاقه الى اليوم.

سادسا: اتضح من خلال عمل الكتاتيب وعظيم جهود معلميها وجوب الأخذ بالمنهج العملي في مواجهة المذاهب الهدامة والفرق الضالة ومواجهة التغريب بكل وسيلة ممكنة.

أما عن أهم التوصيات:

فيمكن إجمالها كما يلي:

أولا: على العلماء العاملين بالكتاب والسنة أن ينتبهوا لمكر أعداء الإسلام ولا يشغلوا أنفسهم بخلافات ما كان ينبغي لها أن تكون بين المسلمين ولقد آن لنا أن نفكر فيمن يريد أن يستأصل الإسلام من أساسه وأن يأتي عليه من القواعد ويعمل جاهدا على إزالته من الوجود أن ينشغل العلماء بالقضايا الكبرى في الإسلام وأن يدعوا القضايا الفرعية والأمور الخلافية.

ثانيا: يجب العمل على ضع منهج علمي بخطط مناسبة وبوسائل تتوافق مع مستجدات العصر لإحياء هذه الكتاتيب، وعلى النهوض بجمعيات المحافظة على القرآن الكريم من قِبل إدارة شئون القرآن الكريم في الأزهر، ومجمع البحوث الإسلامية، ووزارة الأوقاف والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ولاسيما في القرى التي كانت ولا تزال المورد الأكبر لحفاظ القرآن الكريم؛ وعلى النهوض بجمعيات المحافظة على القرآن الكريم. والإكثار من دروس تحفيظ القرآن الكريم وإنصاف القائمين على التحفيظ بها، وسد حاجاتهم حتى يقوموا بمهمتهم خير قيام.

وفي ذلك دعم للوسطية والنأي بالشباب والناشئة من الوقوع في براثن الأفكار والدعوات الضالة والإرهاب وتحصين للمجتمع من هذه الأفكار وتماشيًا مع فطرة الإنسان وإشباع ميوله الفطرية للتدين. بما يسهم في بناء الأمة دينيا، ودنيويا، وخلقيا واجتماعيا

ودعمًا وإشباعًا للفطرة الدينية.

ثالثا: الاستفادة من منهج الكتاتيب قديما في التدرج في التعليم وهو منهج فريد تميزت به شريعة الرحمن، وخصوصا في تحفيظ القرآن، الذي يراعي معرفة مدارك الطلاب وقوة حفظهم ومدى استيعابهم.

رابعا: وجوب العناية بالجمع بين التعليم والتطبيق داخل هذه الكتاتيب دعما لآثارها الإيجابية، وعلاجا لقلة الاكتراث بالشعائر التعبدية والسلوكية، والاستفادة من تنوع أساليب وطرائق التدريس في الكُتَّاب، وهذه دعوة للباحثين في علم التربية والاجتماع لينهلوا من فوائدها، والنظر بعين الشريعة في موضوع التربية العقابية وطرق الحوار والتعليم والتواصل بشتى أنواعه.

ثبت المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم

١- أحمد أمين: محمد منير مرسي، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: طبعة مزيدة ومنقحة ١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٥م.

٢- إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، دار المعرفة، بيروت.

٣- آداب المعلمين لمحمد بن سحنون. تحقيق حسن حسني عبد الوهاب دار الكتب الشرقية تونس.

٤- الأزهر في ألف عام عبد العزيز الشناوي، دار المعارف.

٥- الأزهر والتعليم الإسلامي، محمد عبده حسان، دار الطباعة الحديثة.

٦- الأزهر والتعليم الديني في مصر. صلاح منصور، القاهرة: الهيئة العامة للكتاب. ٢٠٠٧م.

٧- استراتيجيات مقاومة التغريب الثقافي. القاهرة: عبد الفتاح أبو زهرة دار الفكر العربي. ٢٠١٨م .

٨- الاستقلال التعليمي في المؤسسات غير الرسمية. عبد الرحمن الشاذلي، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية. ٢٠١٠م .

٩- أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، المؤلف: عبد الرحمن النحلاوي.

١٠-"الأيام" طه حسين (١٨٨٩-١٩٧٣): by 1992 أ1 January مركز الأهرام للترجمة والنشر.

١١- البداية والنهاية لابن كثير ط مكتبة المعارف بيروت ١٩٩١م.

١٢-بوابة الأزهر الإلكترونية، "طفرة في الأنشطة العلمية والدعوية للجامع الأزهر"، azhar.eg، نُشر بتاريخ ٢٠ يناير ٢٠٢٤، رابط:
https://www.azhar.eg/sawtalazhar/details/ArtMID/2232/ArticleID/91725
١٣- بوابة الأزهر الإلكترونية، بيانات الرواق ٢٠٢٢-٢٠٢٤م.
١٤- بوابة الأزهر، "أنشطة الرواق الأزهري"، https: / /www.azhar.eg.
١٥- تاريخ الأدب العربي، المؤلف: الدكتور شوقي ضيف، الناشر: دار المعارف – مصر
١٦- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، حسن إبراهيم حسن، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٤م.
١٧- تاريخ الأمم والملوك " للطبري.
١٨- تاريخ التربية الإسلامية، أحمد شلبي، دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت ١٩٤٥.
١٩- تاريخ التربية عند المسلمين، عبد الله عبد الدايم، دار العلم للملايين بيروت .
٢٠- تاريخ التعليم في الأزهر عبد الحميد عبادة، مكتبة النهضة المصرية.
٢١- تاريخ التعليم في مصر. طه حسين الرافعي، (١٩٨٨) القاهرة: دار المعارف.
٢٢- تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨م.
٢٣- تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر، عبد الرحمن الرافعي، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٧م.
٢٤-تاريخ المدارس الوقفية في المدينة المنورة، المؤلف: طارق بن عبد الله حجار، ٤٧٧، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: العدد ١٢٠ - السنة ٣٥ - ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣م
٢٥-تاريخ مدينة دمشق .

٢٦- تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار. ابن بطوطة، محمد بن عبد الله. دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٧- التراتيب الإدارية لمحمد عبد الحي الكتاني / تحقيق عبد الله الخالدي.

٢٨- التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، محمد منير مرسي، عالم الكتب، ط ١٤٢٥ هـ/ ٢٠٠٥م.

٢٩-التربية والتعليم في الإسلام، د مبروك بهي الدين، (مصر- القاهرة- الطبعة الأولى ١٩٥٦م.

٣٠- التعليم الإسلامي في المغرب، عبد الهادي التازي، الرباط: المطبعة الملكية، ١٩٦٢م

٣١- التعليم الإسلامي وتحديات العولمة. حسن عبد الدايم، القاهرة: مكتبة الأنجلو. (٢٠٠٤).

٣٢-التعليم الإسلامي ومواجهة التغريب، جمال الدين الأفغاني، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٩٨م .

٣٣- التعليم التقليدي في العالم الإسلامي، المجمع الفقهي، مكة المكرمة.

٣٤-التعليم الديني غير النظامي في المجتمعات الإسلامية. مركز دراسات الفكر الإسلامي، ناصر الهاشمي ٢٠١٠م.

٣٥- التعليم الديني والتغريب الثقافي". منى الهواري. مجلة الفكر التربوي الإسلامي، ٢٠١٦م.

٣٦- التعليم في مصر في عصر الاحتلال البريطاني، عبد العظيم رمضان، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣م .

٣٧- التغريب في مصر، زكي مبارك، القاهرة: دار الهلال، ١٩٣١م.

٣٨- التغريب والتحديث في العالم العربي: جلال أمين – دار الشروق- القاهرة – ٢٠٠٦م.

٣٩- تقرير لجنة تطوير التعليم الأزهري، ٢٠٢٣م.

٤٠-التنشئة الإسلامية في الكتاتيب". محمود الأنصاري، المجلة المصرية لعلم الاجتماع التربوي، ع (٧)، ٢٠١٢م.

٤١- الثقافة الإسلامية في مواجهة التغريب، عبد العزيز التويجري، المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم، ٢٠١٥م.

٤٢- الجذور التاريخية للتغريب في العالم الإسلامي، عبد العزيز الدوري، بيروت: دار الطليعة، ١٩٨٢م.

٤٣- جريدة الأهرام، "تحديات الرواق وملامح التطوير"، أبريل ٢٠٢٤.

٤٤-جريدة اليوم السابع، "افتتاح الأزهريّة لتصل إلى ١٠٢٦ فرعًا"، youm7.com، ١ يناير ٢٠٢٤، (رابط:

https://www.youm7.com/story/2024/1/1/6433253.

٤٥- حصوننا مهددة من الداخل، محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة.

٤٦- الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل

٤٧- الخطط التوفيقية الجديدة": علي مبارك (١٨٢٣-١٨٩٣) " وصف انتشار الكتاتيب في مصر وأهميتها التعليمية، الخطط ٤/ ٦٤ وما بعدها.

٤٨- دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، على الوردي، دار الوراق.

٤٩- دور التعليم غير النظامي في تنمية القيم"، ناصر الزهراني، مجلة التربية الإسلامية، العدد ٤٧، ٢٠١٩م

٥٠-دور الكتاتيب في تعليم النشء في مصر. محمد عبد الجواد، ص٦٦ مجلة البحوث التربوية، العدد ١٤. ٢٠١٧م

٥١- دور الكتاتيب في حفظ الهوية الثقافية لأبنائنا، موقع: المسلم.

٥٢-دور الكتاتيب والمدارس القرآنية في تنمية مهارة القراءة عند الطفل، عمامرة كمال، بحث علمي منشور في مجلة الكلم المجلد الثامن، السنة الثانية ٢٠٢٣م.

٥٣- دور علماء مكة المكرمة في خدمة السنة والسيرة النبوية، المؤلف: رضا بن محمد صفي الدين السنوسي

٥٤- الرواق الأزهري – الصفحة الرسمية، إحصائية أعداد المحفظين والدارسين، منشور في ديسمبر ٢٠٢٣، (رابط:

https: / /www.facebook.com /azhar.mosqu /posts /971474631763185

الرواق الأزهري التاريخ والدور، الهيئة العامة للكتاب. يوسف مراد.

٥٥- سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج١٠، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٥٦- شرح زاد المستنقع – محمد بن محمد المختار الشنقيطي – شروط النهضة، مالك بن نبي، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٢م.

٥٧- صفحات من صبر العلماء، عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية. الطبعة: الأولى، ١٩٦٠ - ١٩٩٥ م.

٥٨-عجائب الآثار في التراجم والأخبار: الجبرتي (١٧٥٣-١٨٢٥) إشارات متعددة إلى دور الكتاتيب في تعليم الأطفال وتخريج العلماء.

٥٩-عجائب الآثار في التراجم والأخبار" الجبرتي (١٧٥٣-١٨٢٥) ": دار الجيل بيروت

٦٠- علم النفس الاجتماعي، مصطفى فهمي، الفكر العربي.

٦١-علم النفس التربوي، عبد الرحمن العيسوي، دار النهضة العربية، القاهرة. وينظر دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، على الوردي، دار الوراق.

٦٢- عناية المسلمين بالوقف خدمة للقرآن الكريم، المؤلف: عبد الوهاب بن إبراهيم أبو سليمان، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ذو الحجة ١٤٣١هجري.

٦٣- قذائف الحق، محمد الغزالي، دار الشروق.

٦٤- قيم تربوية مستخلصة من التربية النبوية للناشئة، عبد الفتاح أبو غدة، دمشق: دار القلم، ١٩٩٨م.

٦٥- الكتاتيب الحديثة: النشأة والتطور عبد المجيد الحنفي، . القاهرة: دار الحكمة ٢٠٢٠م.

٦٦- الكتاتيب القرآنية ودورها التربوي، محمد بن ناصر العبودي، الرياض: مكتبة العبيكان، ٢٠٠٥م.

٦٧- الكتاتيب ودورها في حفظ القرآن الكريم، عبد الباقي يوسف، دار القلم. وينظر التعليم التقليدي في العالم الإسلامي، صالح العايد، المجمع الفقهي، مكة المكرمة.

٦٨- الكتاتيب؛ نشأتها وأنماطها وأثرها في تعلُّم وتعليم القرآن الكريم، الكتاتيب في مصر أنموذجًا طبعة مركز تفسي، نُشر ضمن بحوث المؤتمر الدولي الثاني لتطوير الدراسات القرآنية، ط. مركز تفسير، الطبعة الأولى ١٤٣٦ هـ/ ٢٠١٥م.

٦٩- الكتاتيب؛ نشأتها وأنماطها وأثرها في تعلُّم وتعليم القرآن الكريم، مبروك بهي الدين، الكتاتيب في مصر أنموذجًا، طبعة مركز تفسي، نُشر ضمن بحوث المؤتمر الدولي الثاني لتطوير الدراسات القرآنية، ط. مركز تفسير، الطبعة الأولى ١٤٣٦ هـ/ ٢٠١٥م، (٣/ ٣١-٩٨).

٧٠- لسان العرب ابن منظور .

٧١- اللغة العربية الضائعة في جاهلية أهلها، منير إبراهيم تايه.

٧٢- اللغة العربية في الكتاتيب المصرية". مجلة الدراسات اللغوية، ع (٥)، ٢٠١٩م .

٧٣- اللغة العربية والتغريب الثقافي، عبد القادر بوعزة، الرباط: دار السلام، ٢٠١٠م .

٧٤- مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، المؤلف: الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية ج١٢/ ٤٣٣، تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة ١٤٣١.

٧٥-مجلة صوت الأزهر، العدد ٥١٢، "الرواق: جبهة فكرية ضد التطرف والتغريب"، مايو ٢٠٢٣.

٧٦- المجلس الأعلى للتربية والتكوين، تقرير حول التعليم التقليدي في المغرب، الرباط، ٢٠٢١م.

٧٧- المدخل لدراسة القرآن الكريم: محمد بن محمد ابو شهبة. القاهرة: دار السلام،

٧٨- مذكرات الإمام محمد عبده" الطاهر الطناحي، دار الهلال.

٧٩-المرأة والتعليم الديني التقليدي في المجتمعات الإسلامية، سناء السامراني، مركز الحضارة، القاهرة، ٢٠٢٠م.

٨٠-مركز الأزهر العالمي للفتوى، "دراسة ميدانية حول أثر الرواق الأزهري"، ٢٠٢٣م

٨١- المركز القومي للبحوث التربوية. تقرير حول الكتاتيب في مصر. وزارة التربية والتعليم ٢٠٢١م.

٨٢- مستقبل التعليم التقليدي في ظل التحديات المعاصرة، إمغران يونس، منشورات جامعة فاس.

٨٣-مستقبل الثقافة في مصر (طه حسين،). دار المعارف، القاهرة.

٨٤- معجم مقاييس اللغة – ابن فارس .

٨٥- المعسول، الدار البيضاء: محمد المختار السوسي، دار الثقافة، ١٩٨٤م .

٨٦-المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، المؤلف: الدكتور جواد علي (ت ١٤٠٨ هـ)، الناشر: دار الساقي، الطبعة: الرابعة ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠١م.

٨٧- مقدمة ابن خلدون، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٥م.

٨٨- من روائع حضارتنا، مصطفى السباعي، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٧٩م.

٨٩- موسوعة التربية الإسلامية، حسين مؤنس، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٤م.

٩٠- موقع الرسمي للأزهر الشريف: www.azhar.eg.

٩١- موقع الرواق الأزهري: www.azhar.eg /rwaq

٩٢-النبأ العظيم: نظرات جديدة في القرآن" للشيخ محمد عبد الله دراز، طبعة دار القلم – دمشق.

فهرس الموضوعات

المحتويات

الملخص.....٤٣٥١
المقدمـــة ٤٣٥٥
التمهيد تعريف الكتاتيب وتطور نظامها عبر العصور ٤٣٥٩
المبحث الأول نشأة الكتاتيب وخصائصها وأهدافها.....٤٣٦٣
المطلب الأول: تطور نظام الكتاتيب عبر العصور. ٤٣٦٨
المطلب الثاني: أهمية إنشاء الكتاتيب. ٤٣٧٨
المطلب الثالث: أهداف الكتاتيب ومناهجها وبرامجها.....٤٣٨٦
المطلب الرابع: واقع الكتاتيب في العصر الحاضر (أهم التحديات وطرق معالجتها)
.....٤٣٩١
المبحث الثاني دور الكتاتيب في مواجهة التغريب ومظاهره ٤٤٠٦
المطلب الأول تعريف التغريب ومظاهره. ٤٤٠٦
المطلب الثاني: المناهج التعليمية والتربوية في الكتاتيب ودورها في مقاومة التغريب
.....٤٤١٥
المطلب الثالث: دور الكتاتيب في مواجهة التأثير الثقافي وإحياء اللغة العربية. ...٤٤٢٠
المطلب الرابع: التنشئة الاجتماعية داخل الكتاتيب ووظائفها التربوية والأخلاقية.
.....٤٤٢٧
المطلب الخامس: من الجهود العملية للدولة المصرية دعم الأوقاف للكتاتيب في
مواجهة التغريب ٤٤٣٨

خاتمة البحث ٤٤٥٨
ثبت المصادر والمراجع ٤٤٦١
فهرس الموضوعات ٤٤٦٩